

الفصل الأول

مدخل للدراسة المجتمع المنجز

- تحديد المصطلحات ذات الصلة بالإنجاز.
- النظرية التي يستند إليها المجتمع المنجز.
- طرق دراسة دافع الإنجاز في المجتمع.
- دلائل الإنجاز في المجتمع.
- العلاقة بين دافع الإنجاز والتنمية.
- نماذج من المجتمعات المنجزة.

تحديد المصطلحات ذات الصلة بالإنجاز

Achieving نجد أنه من الضروري، ونحن نعالج موضوع المجتمع المنجز Society أن نحدد المصطلحات ذات الصلة بالإنجاز؛ ليتسنى لنا بعد ذلك تكوين تصور واضح عنه، ومن ثمَّ إزالة الغموض الذي يكتنف هذا المصطلح أو ذاك.

نقول: إن ثمة عديدًا من المصطلحات التي لها صلة بالإنجاز، لعل من أهمها:

أولاً: الدافع.

ثانياً: الإنجاز.

ثالثاً: دافع الإنجاز.

رابعاً: المجتمع المنجز.

وسنفضل الحديث في هذه المصطلحات على النحو الآتي:

أولاً: الدافع (Motive)

يُعرّف الدافع بأنه: (تلك الحالة التي يبحث فيها الأفراد عن اللذة وتجنب الألم)^(١).

إن هذا التعريف ينظر إلى الدافع بأنه حالة يحافظ من خلالها الفرد على وجوده، ذلك أن التماس اللذة وتجنب الألم تعني فيما تعني استمرارية الوجود، وهذه بدورها تعتمد على سعي الفرد المستمر لإشباع حاجاته، وتلك الحالة تقضي إلى الاستمرارية في الحياة بيد أن الاستمرارية في الحياة لا يمكن ديمومتها إلا بعد الانتباه إلى مصادر الخطر (تجنب الألم)، وهو ما يشير إليه التعريف صراحة. وبذلك فإن هذا التعريف يؤكد أن الفرد يدفعه شيئان: فأما

الأول: بحثه عن اللذة، وأما الثاني: تجنب الألم.

وثمة تعريف آخر يرى أن الدافع هو: (حالة داخلية تحرك توجه السلوك باتجاه الأهداف المطلوب بلوغها)^(٢) وطبقاً لهذا التعريف يعد الدافع الموجه أو المحرك أو المنشط لسلوك الفرد بقصد تحقيق أهدافه: على أن هذا الدافع عادة ما يستثار من داخل الفرد، أي: بفعل عامل داخلي، ولا يستثار بفعل عامل خارجي. ذلك أن محاولات الفرد لإشباع حاجة ما هي التي تحركه أو توجهه باتجاه استصدار أنماط معينة من السلوك.

ويُعرّف الدافع أيضًا بأنه: (حالة داخلية في الفرد، تولد الطاقة والنشاط والحركة وتوجه السلوك نحو الهدف)^(٣).

إذا نحن أمعنا النظر في هذا التعريف، سنجد أنه يتفق مع التعريف السابق، إذ إن هناك غائية في الدافع، وهذه الغائية تتجلى بكون الدافع يبعث في الفرد الطاقة والنشاط لإنجاز مهمة ما أو الوصول إلى هدف ما، وبالمحصلة النهائية يساعد الفرد على إشباع حاجة ما.

إنه من البيّن الواضح في هذه التعريفات أنها تتفق على أن الدافع:

- ١- حالة داخلية توجه سلوك الفرد باتجاه الأهداف المطلوب بلوغها.
- ٢- ولما كان الدافع حالة داخلية، فهو يبعث في الفرد الحركة أو الطاقة أو النشاط من أجل إنجاز مهمة ما أو الوصول إلى هدف ما.
- ٣- يتصف بالغائية، أي: إن هناك غاية يسعى الفرد إلى تحقيقها أو بلوغها، إذ تتلخص في القول القائل: إن هدف الدافع هو (البحث عن اللذة وتجنب الألم).

ثانيًا: الإنجاز Achievement

يُعرّف الإنجاز بأنه: (الدأب والمثابرة والحرص على إتمام المهام، أو

الواجبات، أو الوصول إلى الأهداف بنجاح^(٤). وطبقاً لهذا التعريف، يغدو الإنجاز عبارة عن:

- ١- الدأب والمثابرة التي يتمتع بها الفرد المنجز.
- ٢- الحرص على إتمام الواجبات التي يُكَلَّفُ بها الفرد في زمن محدد، أو الحرص على استكمالها بمواصفات نوعية عالية.
- ٣- أو الوصول إلى الأهداف التي يروم الفرد الوصول إليها بالدقة المطلوبة.

واضح أن الإنجاز هو بلوغ الأهداف التي خطط لها الفرد في وقت سابق على أن بلوغها يقتضي بين ما يقتضي المثابرة والحرص على الوصول إليها في زمن محدد وبمواصفات نوعية عالية.

ثالثاً: دافع الإنجاز Achievement motive

يُعرَّف دافع الإنجاز بأنه: (تلك الحالة التي يتم فيها التغلب على التحديات والوصول إلى مستوى من التطور والنمو)^(٥).

واضح أن دافع الإنجاز استناداً إلى هذا التعريف هو التغلب على التحديات، وبعبارة أخرى: إن التعرض إلى المشكلات الصعبة ومحاولة إيجاد بعض الحلول لها، يعد مؤشراً دالاً على الإنجاز، كما أن الوصول إلى مستوى من التطور والنمو الذي يحسن فيها الفرد أداءه وبعض مهاراته يعد دافعاً في بلوغ حالة من التميز.

ويُعرَّف دافع الإنجاز بأنه: (ذلك الدافع الذي يعبر عن رغبة الفرد في الوصول إلى إنجاز مهم محاولة منه في فهم الأشياء والناس أو فهم الأفكار واستيعابها، بقصد الوصول بشكل سريع إلى معيار عالٍ)^(٦).

إن الإنجاز من وجهة نظر هذا التعريف هو فهم الفرد للعالم الذي يحيط

به، وذلك معيار عالٍ يسعى إلى بلوغه.

ويُعرّف دافع الإنجاز أيضًا، بأنه: (رغبة الفرد في التغلب على العوائق والتميز والعيش في مستوى أعلى)^(٧).

إن هذا التعريف شأنه شأن التعريفات السابقة، إذ أكد مواجهة المشكلات ومحاولة إيجاد الحلول المناسبة لها، بيد أن الجديد فيه محاولة الفرد أن يصل إلى مستوى معيشي رفيع، مما يعني إبداء المثابرة والعزيمة والإصرار على بلوغ الأهداف التي نخطط لها في وقت سابق.

ويُعرّف دافع الإنجاز طبقًا لنظرية دافع الإنجاز بأنه: (عملية التباري من أجل بلوغ معايير الامتياز)^(٨).

وطبقًا لهذا التعريف، يغدو دافع الإنجاز التباري أو المنافسة مع الآخرين للوصول إلى معايير التميز، وعند بلوغ تلك المعايير يشعر الفرد عندئذ بالفخر والاعتزاز.

رابعًا: المجتمع المنجز Achieving society

بعد الاطلاع على المصطلحات المرتبطة بالإنجاز، يمكننا أن نُعرّف المجتمع المنجز، بأنه: ذلك المجتمع الذي يتسم سلوك الأفراد فيه بالمثابرة، والدأب، والحرص على إتمام الواجبات، والرغبة في التغلب على المعوقات إلى جانب التباري من أجل بلوغ معايير الامتياز.

النظرية التي يستند إليها المجتمع المنجز

من المفيد الإشارة هنا إلى أن المجتمع المنجز يستند في تأطيره النظري إلى نظرية دافع الإنجاز، تلك النظرية التي وضعها كل من ديفيد ماكلياند وجون اتكنسن، وبهدف معرفة المزيد من التفاصيل عن هذه النظرية، أثرنا أن نعرضها على النحو الآتي:

تعد نظرية دافع الإنجاز Theory of achievement motivation النظرية الوحيدة التي تفسر الإنجاز في المجتمع من بين النظريات النفسية، إذ لا توجد نظرية تفسر الإنجاز بالدقة والوضوح، كنظرية دافع الإنجاز.

وإذن فإن هذه النظرية ستظل تلاحقنا ما دمنا نبحث في مقولة المجتمع المنجز.

تنطلق نظرية دافع الإنجاز، من فرضية رئيسة، مؤداها أنه: (ثمة ارتباط بين دافع الإنجاز والنمو الاقتصادي)^(٩).

وإذا نحن حللنا العلاقة بين متغيري دافع الإنجاز والنمو الاقتصادي، وجدنا أن الزيادة الحاصلة في دافع الإنجاز لدى الأفراد، ستؤدي إلى زيادة في النمو الاقتصادي، وهذا معناه أن بذل المزيد من الجهود والمثابرة والحرص على إتمام الواجبات والرغبة في التغلب على المعوقات التي تشيع بين أفراد المجتمع، ستؤدي إلى زيادة الإنتاجية كماً ونوعاً ومن ثمّ تحسين مستوى الأداء، وهذا سيؤدي بدوره إلى زيادة النمو على مستوى القطاعات كافة: الخدمية منها، والصناعية، والزراعية، وغيرها.

وهنا نصل إلى مسألة لا بد من الإشارة إليها وهي أن نظرية دافع الإنجاز على خلاف النظريات النفسية، إذ إنها تؤكد المقولة القائلة: إن الفرد بإمكانياته

وقدراته يؤثر في المجتمع، بينما الأمر جد مختلف مع النظريات النفسية الأخرى، إذ تؤكد هذه النظريات أن المجتمع يؤثر في شخصية الفرد ومن ثمَّ يشكل سلوكه.

وإذا نحن بحثنا في مقولة النظرية هذه، وجدنا أنها تعتمد بالدرجة الأساس على إحداث تغيير في النسق القيمي أو إحداث تغييرات بنائية في المجتمع، وهذا التغيير بطبيعية الحال، سيفضي إلى إحداث تغيير في أساليب تدريب الأطفال على الاستقلال مبكرًا^(١٠).

وهذا يعني أن التغييرات الحاصلة في النسق القيمي أو التغييرات الحاصلة في بنية المجتمع، ولا سيما تلك التغييرات التي تكون في العادة في الاتجاه الإيجابي ستفضي إلى أن تتخذ الأسرة أساليب جديدة في عمليات تدريب الأطفال بحيث تجعلهم أفرادًا يعتمدون على أنفسهم منذ نعومة أظفارهم، وهذه الأساليب التي تزيد من استقلالية الأطفال ستفضي إلى زيادة الثقة بالنفس تلك الثقة التي تساعد على اتخاذ قراراتهم بأنفسهم.

من هنا نتوقع أن يزداد عدد الأفراد الذين يتصفون بدافع عال للإنجاز في المجتمع، وفي حال زيادة عدد هؤلاء الأفراد، فإن ذلك سيؤدي إلى زيادة النمو الاقتصادي^(١١).

بيد أن هذه المسوغات النظرية ربما لا تكون مقنعة على الصعيد الميداني، مما يفضي إلى إثارة الانتقادات على النظرية، وتماشياً مع مثل هذه الانتقادات طرح مُنظراً هذه النظرية شواهد وقرائن تثبت الفرضية التي انطلقا منها، وفي الوقت نفسه تأكيداً لصحة المسوغات النظرية التي فسرت فرضيتهم.

ولعل من أهم هذه الشواهد والقرائن: الاعتماد على استهلاك المجتمع للطاقة الكهربائية، فلقد عد استهلاك المجتمع للطاقة الكهربائية مؤشراً دالاً

على النمو الاقتصادي^(١٢)، ذلك أن زيادة استهلاك المجتمع لهذه الطاقة دليل على تشغيل قواه الإنتاجية، ومن ثمَّ زيادة الإنتاج، وهذا بدوره يزيد من النمو الاقتصادي الحاصل في القطاعات الإنتاجية.

وربما يكون زيادة استهلاك الطاقة الكهربائية مؤشراً غير دالٍّ بالمرة على إنجاز المجتمع، وهذا يعود بطبيعتها الحالِّ إلى أن استهلاك كميات كبيرة من الطاقة الكهربائية ربما لا يستخدم لأغراض الإنتاج أو ربما يكون الاستهلاك لأغراض البذخ والإسراف ليس إلا، لذا فإنَّ مُنظِّرني هذه النظرية، شعرا بالحاجة إلى أدلة وشواهد أخرى أكثر دقة في إثبات نظريتهما.

فلقد اعتمدا على طريقة تحليل المحتوى، بهدف معرفة الأفكار الدالة على الإنجاز، وذلك بإجراء تحليل لمحتوى كتب القراءة للصفوف الابتدائية الثانية والثالثة والرابعة، إذ تم انتقاء هذه الكتب من (٢٣) بلدًا.

وقد خضعت قصص الأطفال في هذه الكتب إلى التحليل، ثم بعد ذلك جُمِعت مؤشرات النمو الاقتصادي في تلك البلدان على فترتين: فأما الفترة الأولى فكانت في عام ١٩٢٥ م، وأما الفترة الثانية فكانت في عام ١٩٥٠، ولقد أظهرت نتائج تحليل المحتوى بمقارنتها مع مؤشرات النمو الاقتصادي دعماً للنظرية^(١٣).

وهذا يعني حقيقةً أن الأفكار الدالة على الإنجاز، أخذت تتواتر بدرجة كبيرة في هذه الكتب، مع ازدياد معدلات النمو الاقتصادي في تلك البلدان. كما أنَّ مُنظِّرني هذه النظرية، أخذوا يزيدان من الدلائل والشواهد التي تثبت نظريتهما.

فلقد تم اللجوء هذه المرة إلى الحضارات الغابرة، وذلك بإجراء تحليل محتوى الكتابات التي كتبت عنها، وتبين من نتائج التحليل هذا أن ثمة أفكاراً

كانت تدل على الإنجاز^(١٤)، تشير إلى أن تلك الحضارات كانت منجزة، أو أنها متوجهة نحو الإنجاز، ومنها على سبيل المثال؛ حضارة الإغريق، فلقد كانت منجزات هذه الحضارة شاهد صدق بكونها من الحضارات التي تميزت بالإنجاز.

ومما له دلالة في هذا الصدد، أن ماكيلاند وزميله، عندما حللا محتوى الكتابات التي كتبت عن الحضارات، انطلقا من فكرة أن هذه الكتابات هي بطبيعتها الحَال، انعكاس لتوجهات المجتمع في ذلك الوقت، أي: أن أساليب الحياة السائدة، ستظهر بشكل جلي في هذه الكتابات سواء عن طريق المدونات كما هو الحال في الحضارات الغابرة، أو عن طريق المقررات الدراسية، كما هو الحال في المجتمعات البشرية في الوقت الحاضر.

وإذا نحن اعتمدنا على المقررات الدراسية على سبيل المثال؛ سنجد أن المجتمع يعتمد إلى نقل أساليبه الحياتية عن طريقها، وذلك لكونها إحدى وسائل الاتصال بإفراده، هذا يعني أن المجتمع الذي يكون من النمط الاستهلاكي، سيظهر ذلك جلياً في كتب أطفاله، إذ ترد المزيد من الأفكار الدالة على الاستهلاك والبدخ والإسراف، وإن كان المجتمع من النمط الذي يؤكد التوجه المجتمعي فقد ترد المزيد من الأفكار الدالة على التعاون والتماسك الاجتماعي، وهكذا دواليك مع المجتمعات البشرية الأخرى التي تعتنق توجهات قيمية معينة، وعلى ذلك فإن طبيعة الثقافة السائدة قد تعكس توجهاتها القيمية في أدب وصحافة أطفالها.

إن مُنظَّرِي هذه النظرية اعتمدا كذلك على اختبار تفهْم الموضوع بوصفه أداة إسقاطية لمعرفة مستوى الإنجاز لدى الأفراد، ففي إحدى الدراسات، كما وردت على لسان شلتز ١٩٨٣، إذ طُلب من الأفراد أن يفسروا إحدى صور اختبار تفهْم الموضوع، وكانت تلك الصورة تشير إلى أن شاباً كان جالساً وراء

منضدة وأمامه كتاب مفتوح.

وتبين من نتائج الدراسة، أن الأفراد من ذوي الإنجاز المنخفض أشاروا إلى أن هناك نشاطات سلبية في هذه الجلسة، تتمثل في أحلام اليقظة وتذكر أحداث وقعت في الماضي، بينما أشار الأفراد من ذوي الإنجاز العالي إلى وجود نشاطات تدل على الإنجاز والكفاح ونبذ أحلام اليقظة^(١٥).

كما اعتمد على أسلوب إسقاطي آخر، إذ يشتمل على عرض مجموعة من الكلمات على لوحة مضيئة، ولقد كانت هذه الكلمات ترتبط بمعاني الإنجاز والأمان، فضلاً عن عرض كلمات محايدة، أي: ليس لها صلة بكل من الإنجاز والأمان. وكانت من بين الإجراءات التي اتبعتها ماكيليلاند في الدراسة، تقسيم أفراد العينة إلى مجموعتين.

فأما المجموعة الأولى: فقد تألفت من الأفراد الذين سجلوا درجة عالية في الإنجاز.

وأما المجموعة الثانية: فكانت تتألف من الأفراد الذين سجلوا درجة منخفضة في الإنجاز، ثم بعد ذلك طلب منهم -أي: من المجموعتين- الحكم على دلالة الكلمات المعروضة عليهم، ولقد تبين من نتائج الدراسة أن الأفراد الذين سجلوا درجة عالية في الإنجاز، كانوا أسرع في تمييز الكلمات الدالة على الإنجاز (النجاح، الكفاح) من أقرانهم الذين سجلوا درجة منخفضة في الإنجاز^(١٦).

وفي دراسة لاحقة تُعد تطويراً للدراسة السابقة، عمد ماكيليلاند إلى تقسيم أفراد العينة إلى ثلاث مجموعات تبعاً لمستوى الإنجاز، فالمجموعة الأولى: كانت تتألف من الأفراد الذين سجلوا درجة عالية في الإنجاز، والمجموعة الثانية: تألفت من الأفراد الذين سجلوا درجة معتدلة في الإنجاز، وأما

المجموعة الثالثة: فقد تألفت من الأفراد الذين سجلوا درجة منخفضة في الإنجاز، ثم بعد ذلك اتبع ماكلياند إجراءات الموقف التجريبي في الدراسة الأولى.

ولقد تبين من النتائج التي توصل إليها، أن أفراد المجموعة الأولى (الإنجاز العالي): كانوا أسرع في تمييز الكلمات الإيجابية (النجاح، الكفاح) الدالة على الإنجاز من أقرانهم في المجموعتين الثانية والثالثة.

وأما أفراد المجموعة الثانية (الإنجاز المعتدل): فقد صرفوا وقتاً في تمييز الكلمات السلبية الدالة على الإنجاز (العجز، والفشل) أكثر مما صرفه أقرانهم في المجموعتين الأولى والثالثة، وأخيراً لم يتمكن أفراد المجموعة الثالثة (الإنجاز الواطئ): من تمييز الكلمات الإيجابية والسلبية الدالة على الإنجاز^(١٧).

وبذلك، فإن الأسلوب الإسقاطي الذي اتبعه ماكلياند، قد مكّنه من اختبار فرضيته القائلة: إن الأفراد من ذوي الإنجاز العالي يكونون أسرع من غيرهم في تمييز الكلمات الدالة على الإنجاز.

كذلك عُدَّ الحراك الصاعد والساعات التي يقضيها الفرد في العمل ورغبته في تعليم أطفاله وسعيه الحثيث لإكمال تعليمه العالي وتراكم رأس المال^(١٨) مؤشرات دالة على الإنجاز في المجتمع، وهو يعني تعزيزاً للفرضية التي انطلقت منها النظرية.

طرق دراسة دافع الإنجاز في المجتمع

هناك العديد من الطرق التي يتم من خلالها دراسة دافع الإنجاز في المجتمع، لعل من أبرزها:

١ - الأساليب الإسقاطية The projective techniques

نعني بالأساليب الإسقاطية، تلك الأساليب التي تعتمد بالدرجة الأساس على الإسقاط projection، والإسقاط حيلة نفسية يلجأ إليها الفرد عندما لا يتمكن من إظهار رغباته ودوافعه بصورة علنية، ولما كان كذلك فإنه يسقط هذه الرغبات وتلك الدوافع على غيره، مدعيًا أن غيره يتمتع بها، لذا تغدو هذه الدوافع خصائص الغير، وليست خصائصه، على وجه التحديد.

ولقد وظفت هذه الحيلة النفسية عند دراسة الظواهر التي يجد فيها الباحث صعوبة في التخلص من المرغوبة الاجتماعية (*) social desirability أو أن الظاهرة التي يدرسها محملة بالكثير من المرغوبة الاجتماعية، ويعد دافع الإنجاز من المتغيرات النفسية التي تعاني الكثير من المرغوبة الاجتماعية وللتخلص من حدة المرغوبة في هذا المتغير، عدل ماكلياند واتكنسن اختبار تفهم الموضوع، لكي يتمكننا من قياس دافع الإنجاز وذلك بالاعتماد على صورة واحدة من الاختبار الأصلي الذي يشتمل على عديد من الصور.

ومما له دلالة في هذا الصدد، أن الاختبار الإسقاطي يشتمل على منبهات في صيغة جمل ناقصة، أو صور، أو أسئلة تنطوي على بعض الغموض، إذ يطلب فيها من المستجيب أن يفسر الصورة أو يكمل الجمل الناقصة أو يجيب عن الأسئلة التي تطرح عليه، ودافع الإنجاز صمم في صيغة صورة تطرح على المستجيب ويطلب منه أن يفسرها، والاستجابات التي تصدر عنه -أي:

(*) المرغوبة الاجتماعية تعني ميل الفرد للإجابة على فقرات المقياس بطريقة مقبولة اجتماعيًا.

التفسيرات - عادة ما تعبر عن وجهة نظره هو بالمنبه المعنى في الصورة.

وبهذا المعنى تصبح التفسيرات الضادرة عنه حيال الصورة أو المنبه دوافع أو رغبات مكبوتة لم يجد الفرصة المواتية للتعبير عنها صراحة أو الجهر بها، والتائج التي يسفر عنها استعمال الأسلوب الإسقاطي تشير بطبيعة الحال إلى مستوى الإنجاز لدى الفرد.

٢- الاختبارات النفسية

تعد الاختبارات النفسية إحدى الطرق التي يتم من خلالها قياس دافع الإنجاز لدى الأفراد، وذلك باستعمال الأساليب المباشرة التي تقدم في العادة في صيغة فقرات لفظية، تتناول دافع الإنجاز في ميادين العمل أو الدراسة أو في ميادين أخرى من الحياة، والفقرات التي تتناول دافع الإنجاز عادة ما تكون عبارة عن منبهات مؤثرة في الإنجاز، تلك المنبهات التي يسقطها الباحث في صيغة فقرات، وبذلك يتمكن من قياس الإنجاز لدى الأفراد طبقاً لهذه الطريقة.

بيد أن هذه الطريقة لا يعول عليها كثيراً في قياس دافع الإنجاز لدى الأفراد؛ بسبب أن الأساليب المباشرة التي تعتمد على الصيغة اللفظية محملة بكثير من المرغوبية الاجتماعية، مما يعني أن هذه الطريقة لا تمكن الباحث من الحصول على نتائج دقيقة عن حقيقة الظاهرة.

٣- تحليل المحتوى Content analysis

في الحالات التي يتعذر فيها دراسة الظاهرة بالطرق الاعتيادية كالأساليب الإسقاطية والاختبارات النفسية، فإننا والحال هذه سنبحث فيما كتبه الأفراد تحريرياً أو ما تحدثوا عنه شفويًا. وبذلك تصبح المادة المكتوبة أو المسجلة في أشرطة التسجيل أو التصوير، الأداة التي تستخدم في تحليل النتائج، أو بعبارة

أخرى أن المادة الاتصالية بأنواعها: من المكتوب والمسموع والمرئي تخضع للدراسة، بقصد استخلاص النتائج المطلوبة.

وعادة ما نلجأ في طريقة تحليل المحتوى إلى بعض السجلات والوثائق أو الخطابات التي قيلت في وقت سابق^(١٩)، وذلك بتحليل محتواها؛ بقصد معرفة الأفكار السائدة فيها. وتتلخص طريقة تحليل المحتوى في إحصاء التكرارات للأفكار Themes التي وردت في المادة المكتوبة، وبعد ذلك تستخلص النتائج على ضوء ما تم إحصاؤه من تكرارات.

وإذن فإن طريقة تحليل المحتوى تعتمد بالدرجة الأساس على التكرارات لمحتوى الاتصال، على أن تحليل محتوى الاتصال يخضع لتصنيف معين، وفي هذا السياق، نشير إلى وجود نوعين من التصنيفات:

فأما الأول: يسمى التصنيف القبلي، إذ يعتمد فيه الباحث على تصنيف جاهز، وبموجب هذا التصنيف يبدأ في تحليل المادة الاتصالية.

وأما الثاني: فيسمى التصنيف البعدي، وفي هذا النوع من التصنيفات لا يعتمد الباحث على تصنيف معد مسبقاً، بل وجد أن التصنيفات القبليّة لا تتناسب مع المادة التي يراد تحليلها.

وتأسيساً على ما سبق، يمكن الاعتماد على طريقة تحليل المحتوى، في تحليل المواد المكتوبة أو المسموعة أو المرئية، ولتوضيح ذلك نسوق المثال الآتي: عندما نقول: إن المجتمع (س) مجتمعاً منجزاً، وإن المجتمع (ص) مجتمعاً غير منجز، فكيف نتحقق من ذلك؟ علماً بأن الطرق التي أتينا على ذكرها لا تسعفنا في بلوغ هدفنا، فما العمل؟

إحدى الطرق التي نتمكن من خلالها بلوغ هدفنا، هو اللجوء إلى تحليل

حضارة المجتمع في كل من (س) و (ص) ، وذلك بتحليل المواد المكتوبة في كل منهما، فقد نلجأ إلى كتب القراءة لأطفال المدرسة الابتدائية بوصفها مادة مكتوبة، ثم نحلل محتواها كما فعل ماكلياند وزملاؤه، انطلاقاً من أن الأفكار السائدة في هذه الكتب تعكس توجهات المجتمع وفلسفته في الحياة.

وعلى هذا الأساس فإن تحليل محتوى هذه الكتب والنتائج التي يتم التوصل إليها، قد تكشف عن طبيعة المجتمع، وبذلك نتمكن من الحكم على أن المجتمع (س) والمجتمع (ص) يتسمان بالإنجاز أو لا يتسمان به بالمرّة، أو أن أحدهما منجز والآخر غير منجز أو العكس.

دلائل الإنجاز في المجتمع

في هذه الفقرة سنستعرض الدلائل أو المؤشرات التي تشير إلى الإنجاز في المجتمع، ولعل من أبرزها:

١- أن المجتمع المنجز تشيع بين أفرادة نسقًا قيمياً يؤكد إتمام الواجبات على الوجه الأكمل، والعمل المخلص من أجل المجتمع، كذلك تكون تصورات أفراده عن المستقبل واضحة، ولديهم قدرة على مواجهة الصعوبات.

٢- يلاحظ في المجتمع المنجز أن غالبية أفراده لديهم رغبة في تغيير مكانتهم الاجتماعية، ذلك أن الانتقال من مكانة اجتماعية متدنية إلى أخرى أعلى منها، يعد مؤشراً دالاً على الإنجاز في المجتمع.

٣- كذلك يلاحظ أن أفراد المجتمع المنجز يسعون على الدوام إلى طلب المزيد من التعليم، سواء لأنفسهم أو لأطفالهم.

٤- إن الإنجاز الذي يتحقق في ميادين المجتمع كافة، يفضي إلى تراكم رأس المال، وهو ما يعبر عنه بالنتائج الإجمالية.

٥- واللافت للانتباه، أن براءات الاختراع تأخذ في الزيادة، كلما توجه المجتمع نحو الإنجاز، والعكس صحيح ينخفض عدد هذه البراءات في حال أحجام المجتمع عن الإنجاز.

٦- يعد انخفاض معدلات البطالة بين الأفراد مؤشراً دالاً على الإنجاز في المجتمع.

إن هذه المؤشرات سيظهر أثرها عند استعراض تجارب المجتمعات المنجزة.

العلاقة بين دافع الإنجاز والتنمية

إن ثمة علاقة سببية بين دافع الإنجاز والتنمية Development، ومعنى ذلك أن الزيادة التي تحصل في المتغير الأول تؤدي إلى زيادة في المتغير الثاني، وبذلك يكون المتغير الأول السبب والمتغير الثاني النتيجة، وإذن فإن المتغير الأول هو السبب في المتغير الثاني. ويمكن تفسير هذه العلاقة من الناحية المنطقية، أن الزيادة الحاصلة في دافعية الإنجاز لدى الأفراد تؤدي إلى إحداث تنمية داخل المجتمع.

وهناك أدلة وشواهد تثبت وجود العلاقة السببية بين المتغيرين، ولعل من بين هذه الأدلة والشواهد:

- ١- أن تراكم الثروة الناتجة عن عمليات التشغيل والإنتاج، أي: تحويل المواد الخام إلى سلع مصنعة، فضلاً عن استخدام أحدث أساليب الزراعة مع مراعاة زيادة إنتاجية الدونم الواحد طبقاً للمعايير العالمية في هذا الصدد، كل ذلك يشير إلى أثر الدافعية في الإنجاز، إذ لولا المثابرة والحرص على الإنتاج وإجادة تصنيع السلع، لما تحقق كل هذا التراكم من الثروة. على أن يستثنى من ذلك البلدان المصدرة للنفط، ذلك أن عمليات استخراج هذه المادة لا ينطبق عليها معيار تحويل المادة الخام إلى سلعة مصنعة، وعلى هذا الأساس عد تراكم الثروة عن طريق تحويل المواد الخام إلى سلع مصنعة مؤشراً دالاً على وجود التنمية.
- ٢- أن دافعية الأفراد في تحسين أحوالهم المعيشية أو في تحسين مكانتهم الاجتماعية داخل المجتمع، كانت السبب في زيادة حراكهم الصاعد سواء في الميدان المهني أو في الميدان الاقتصادي أو في الميدان السياسي، وذلك شاهد على وجود التنمية.
- ٣- أن زيادة براءات الاختراع واستثمارها في حل بعض المشكلات التي تعاني منها القطاعات الإنتاجية والخدمية، دليل على سعي الأفراد لبلوغ حالة

الامتياز والتفوق.

٤- أن القدرة على توظيف المعرفة في ميادين مختلفة من الحياة، شاهد على دافعية الأفراد، وهذا يعني حقيقة أن الطموح والمثابرة والرغبة هي التي تدفعهم إلى التجريب والاستطلاع، ومن ثمّ توظيف المعرفة في ميدانها المناسب.

٥- كذلك، فإن الجهود التي يبذلها الأفراد في توطين التكنولوجيا ومحاوله جعلها ملائمة للظروف المحلية؛ وذلك بإدخال بعض التعديلات عليها أو تحسين مستوى كفاءتها، يؤشر مظهرًا تنمويًا في المجتمع.

٦- أن زيادة معدلات تأليف الكتب وترجمتها، ولا سيما تلك التي تصدر بلغات أجنبية مختلفة ونشر الدراسات مع مواكبة التطورات المعرفية، يعكس بعض مظاهر التنمية في المجتمع.

٧- أن احترام الزمن في عمليات التفاعل الحادثة بين الأفراد من جانب، وحرص هؤلاء الأفراد على الالتزام بإنجاز أعمالهم في زمن محدد، دليل على التأثير بمقولة (المجتمع المنجز).

نماذج من المجتمعات المنجزة

في هذه الفقرة، سنتناول بالشرح والتحليل، بعض المجتمعات البشرية التي حققت إنجازًا كبيرًا في مجالات مختلفة من الحياة، على أن حديثنا سيقصر على المجتمعات البشرية الآتية:

- ١- المجتمع الأمريكي.
- ٢- المجتمع الياباني.
- ٣- المجتمع الألماني.
- ٤- المجتمع الكوري الجنوبي.

إن ثمة مسوغات جعلتنا نركز الحديث على هذه المجتمعات حصراً، ولعل من أهمها:

١- لقد حققت هذه المجتمعات إنجازًا كبيرًا في مختلف المجالات. وحسبنا أن نشير هنا إلى أن هذه المجتمعات -باستثناء المجتمع الكوري الجنوبي- احتلت مواقع متقدمة في اقتصاديات العالم. وإذا نحن عدنا إلى البيانات الصادرة عن تقرير التنمية البشرية لعام ٢٠٠٠، وجدنا أن الناتج القومي الإجمالي للولايات المتحدة قد بلغ (٧٩٠٣) مليار دولار، وبذلك احتلت الترتيب الأول من حيث الأداء الاقتصادي في العالم.

فيما بلغ الناتج القومي الإجمالي لليابان (٤٠٨٩.١) مليار دولار، وقد احتلت بذلك الترتيب الثاني من حيث الأداء الاقتصادي، وأخيرًا بلغ هذا الناتج في ألمانيا (٢١٧٩.٨) مليار دولار^(٢٠) وبذلك احتلت الترتيب الثالث من حيث الأداء الاقتصادي، وهذا يعني حقيقة أن هذه المجتمعات تتوفر فيها مرتكزات الإنجاز، وهو الأمر الذي جعلها تحقق الإنجازات تلو الإنجازات في مسيرتها الحضارية.

٢- أنها مجتمعات عانت كثيرًا من ويلات الحرب، وما ترتب عليها من تخريب ودمار للبنى التحتية، ولا سيما المجتمعات الثلاثة الأخيرة.

٣- أن المجتمع الكوري الجنوبي، بالرغم من أنه لم يصل إلى مستوى الإنجاز في المجتمعات الثلاثة المشار إليها، فإن ما حققه من منجزات، يُعد مفخرة للبلدان النامية، كما أن هذا المجتمع أخذ يتنافس بدرجة لافتة للانتباه مع غيره من المجتمعات البشرية، لكي يحتل مكانًا على مدارج الحضارة العالمية.

إن هذه الأسباب مجتمعة جعلتنا نولي عناية في الحديث عن المجتمعات الأربعة المشار إليها:

١- المجتمع الأمريكي

لقد احتل المجتمع الأمريكي، طبقًا لتقرير التنمية البشرية لعام ٢٠٠٠، الترتيب (٣)، كما بلغت قيمة دليل تنميته البشرية (٠.٩٢٩)^(٢١)، ومعنى ذلك أن المجتمع قد حقق مستويات عالية من الإنجاز، ومن الطبيعي أن يطلق عليه بأنه مجتمع منجز. وإذا نحن تحرينا عن الأسباب التي جعلت المجتمع الأمريكي منجزًا، وجدنا أن الأمريكيين على العموم يقدرون الإنجاز، بدليل أنهم يبذلون قصارى جهودهم لبلوغ المستويات العالمية، تلك المستويات التي تؤهلهم، لأن يكونوا في الصدارة، أو على حد تعبير الشاعر العربي (لنا الصدرُ دون العالمين أو القبرُ).

إن من البيّن الواضح أن همَّ الفرد الأمريكي أن يكون مكانه في المقدمة، أو أن يكون مع الأوائل، وهنا نستحضر قول وليم جيمس كما ورد على لسان دافيدوف ١٩٨٣، إذ يقول: إن العبادة المطلقة للنجاح حتى لو كان نجاحًا لامرأة فاتنة، لعوب، هي مرضنا القومي^(٢٢). وهذا يشير صراحة إلى أن التفوق يعد قيمة مفضلة في المجتمع.

وإذا نحن تتبعنا مسيرة الإنجاز في المجتمع الأمريكي، وجدنا أن هذه المسيرة كانت نتاجاً لعدد من الأزمات، التي عُدَّت في وقتها تحدياً للمجتمع ككل، وعليه أن يواجهها، ولعل الأهم من ذلك هو أن يتجاوزها وأن يخرج منها بمزيد من الإنجازات التي تعم بالخير على عموم المجتمع، وفي الوقت نفسه تزيده إصراراً على إصرار في أن يكون في طليعة المتقدمين. وفي هذا السياق نشير إلى أهم الأزمات التي تعرض لها المجتمع الأمريكي:

١- لقد تعرض المجتمع الأمريكي إلى كساد كبير في عشرينيات القرن العشرين، واستمرت آثاره حتى الثلاثينيات منه؛ وبقصد الخروج من هذه الأزمة الحادة التي أخذت تهدد النظام الرأسمالي هنا: لجأ الرئيس الأمريكي آنذاك فرانكلين روزفلت إلى قادة الفكر، وفي الطليعة منهم أساتذة الجامعة دعاهم إلى مساعدته في إيجاد الحلول الناجعة، التي تفضي في التغلب على الأزمة، ولقد استجاب لهذه الدعوة عدد كبير منهم^(٢٣)، وهذا يؤشر بِطَبِيعَةِ الْحَالِ فَإِنْ متخذي القرار وقادة الفكر يلتقون على الدوام في القضايا التي تخص التنظيم الاجتماعي واستقراره.

٢- أن استمرار التهديد الألماني أثناء الحرب العالمية الثانية دفع بالولايات المتحدة إلى زيادة إنتاجها، ولا سيما في الميدان العسكري لإدامة زخم العمليات العسكرية تجاه الألمان، وذلك لمنعهم من التقدم في أوروبا. ولقد اقتضى ذلك الاهتمام بالبحث العلمي، الذي كان المرتكز الأساسي في تطوير بعض المعدات العسكرية أو إيجاد بدائل لمعدات أخرى. وقد شجعت هذه الحرب، بالرغم من المعاناة المترتبة عليها الأمريكان إلى تحقيق المزيد من التفوق واستثمار فرصة انشغال أوروبا بالحرب. وبالفعل فقد غدت الولايات المتحدة بعد انتهاء الحرب قوة عظمى تترجم الكتلة الرأسمالية في العالم.

٣- ولعل إطلاق القمر الصناعي السوفيتي سبوتنك في عام ١٩٥٧ أيام

اشتداد الحرب الباردة بين المعسكرين الاشتراكي والرأسمالي، قد أصاب الأمريكيان بصدمة تلك الصدمة التي قادتهم إلى البحث عن الأسباب التي جعلت السوفيت يسبقونهم في هذا الميدان التكنولوجي. ولقد توجهوا كما اعتادوا أن يواجهوا أزماتهم، صوب المؤسسة التربوية لعلمهم أنها المسئولة عن التأخر الحاصل في هذا الميدان، وهي كذلك المسئولة عن اللحاق بالسوفيت، وقد اقتضى الأمر إحداث تغييرات في هذه المؤسسة. ولعل من بين هذه التغييرات: إعادة النظر في طرق التدريس، وإعادة النظر أيضًا في إعداد الملاكات التربوية لكي تتناسب مع طبيعة التحدي الجديد، وكذلك إعادة النظر في المقررات الدراسية. ونتيجة لهذه التغييرات التي أحدثت في المؤسسة التربوية، مع تهيئة المجتمع للتحدي الجديد، تمكن الأمريكيون في عام ١٩٦٩ من إنزال أول رجل على سطح القمر، وبذلك حققوا حالة التوازن التي اعتقدوا أنها اختلت عندما تمكن السوفيت من إطلاق قمرهم.

٤- والأزمة الرابعة تمثلت في أزمة الطاقة، تلك الأزمة التي تفجرت إثر الحرب العربية التي نشبت مع إسرائيل في عام ١٩٧٣، ولقد ترتب على نشوب هذه الحرب أن الأقطار العربية المصدرة للنفط بادرت بتقليل الإنتاج النفطي، مما تسبب عن ارتفاع أسعار الوقود، وهذا بدوره قد أشاع حالة من التذمر والتشاؤم بين صفوف العامة من الناس.

وقد أدت هذه الأزمة إلى جذب انتباه الرأي العام نحو قضية الطاقة، إذ أخذ الناس يتحدثون عن الأزمة والسبل لمواجهتها، ويمكن القول أن الأزمة أفضت إلى تكوين رأي عام يدعو الحكومة إلى اتخاذ الإجراءات اللازمة للتخفيف منها، وبطبيعية الحال اتخذت الحكومة بعض السبل لمواجهتها.

ولعل من بينها أنها توجهت إلى المؤسسة التربوية بهدف تكوين عادات

سلوكية جديدة لدى أفرادها، تلك العادات السلوكية من قبيل: التعاون، والمشاركة، ومحاولة إطفاء العادات السلوكية القديمة من قبيل: الفردية، والخصوصية، والسلطة الهرمية، والطاعة^(٢٤).

هذه العادات إن اكتسبت - كما يعتقد متخذ القرار - ستفضي على تقليل الاستهلاك؛ بقصد المحافظة على الإنجازات المتحققة. كذلك أعيد النظر في المقررات الدراسية فأضيف إليها موضوع الطاقة ثم عولج بمعلومات وافية^(٢٥).

كما وزعت المؤسسة التربوية على ملاكها التدريسية الأدوار؛ بهدف تثقيف الطلبة، فلقد أسندت إلى مدرسي الجغرافيا مهمة تثقيف الطلبة؛ وذلك بتحديد مصادر الطاقة في البلاد، وأسندت إلى مدرسي العلوم مهمة شرح القضايا الفنية المتعلقة بالطاقة^(٢٦).

وكذا الحال مع مدرسي المواد الدراسية الأخرى، إذ أسندت لهم مهمة تثقيف الطلبة من زاوية تخصصهم العلمي إلى جانب الإسهام الفاعل للجامعات ومراكز البحث العلمي؛ وذلك بإعداد الدراسات التي تؤدي إلى ترشيد الاستهلاك، فضلاً عن إيجاد بعض البدائل للنظ.

٥- والأزمة الخامسة تمثلت في انخفاض المستوى العلمي في بداية ثمانينيات القرن العشرين، تلك الأزمة التي جعلت المسؤولين هناك يشعرون بآثار الخطر، ونشير في هذا السياق إلى تقرير اللجنة الوطنية المكلفة بدراسة أسباب انخفاض التفوق في المجتمع الأمريكي.

ولعل من أهم هذه الأسباب التي أطلق عليها مؤشرات دالة على الخطر: أن الطلبة في المجتمع الأمريكي لم يحصلوا على المرتبة المتوقعة، وهي المرتبة الأولى والثانية في (١٩) اختباراً للمواد الدراسية، إذ حصلوا على الترتيب

الأخير بالمقارنة مع البلدان الصناعية عندما أجريت هذه الاختبارات سبع مرات^(٢٧).

فضلاً عن مؤشرات أخرى ذكرها التقرير تتعلق بتدني المهارات التقنية للأفراد، وزيادة نسبة الأمية بين الكبار، ومما يجعلنا نتيقن أن ثمة حرصاً ومثابرة على بلوغ معايير التميز والسبق، ناشدت اللجنة الوطنية المكلفة بدراسة أسباب انخفاض التفوق المجتمع الأمريكي بمدارسه وكلياته كافة إلى أن يسعى لتحقيق مهمة سبق^(٢٨).

على أن هذه المهمة تتحقق كما يورد التقرير بالدعوة إلى أن يكون هناك مجتمع دائم التعلم^(٢٩).

وهذا يقتضي بطبيعة الحال أن يمنح المواطنون كافة فرصاً متساوية لإكمال تعليمهم، ولقد تحققت بالفعل مقولة: (المجتمع دائم التعلم)، وإذا نحن عدنا إلى الأعوام التي سبقت تقرير اللجنة الوطنية، وانتقينا أحدها وليكن عام ١٩٧٨، وجدنا أن نسبة المسجلين في هذا العام في المراحل الدراسية كافة بما فيها الدراسة الجامعية قد بلغت (٨٥.٣٪)^(٣٠).

وإذا نحن تابعنا الزيادة المتحققة في هذه النسبة في الأعوام اللاحقة، وجدنا أن هذه النسبة قد بلغت (٩٤٪) حتى عام ١٩٩٨^(٣١). كما انخفضت نسبة الأمية بين الكبار، إذ بلغت (١٪) في العام نفسه^(٣٢).

٦- أن انهيار الاتحاد السوفيتي والكتلة الاشتراكية قد أنهى حالة الحرب الباردة، مما هباً الأجواء إلى تشكيل عالم جديد أطلق عليه عالم ما بعد الحرب الباردة، وحقيقة الأمر أن هذا العالم قد تميز باعتماده على قوة جديدة تختلف تمام الاختلاف عن قوة عالم الحرب الباردة، تلك القوة التي تستند إلى أبعاد ثلاثة تتمثل: في العنف، والثروة، والمعرفة على حد تعبير توفلر^(٣٣).

ويقصد توفّر بالعنف القوة العسكرية المستندة إلى المعرفة وليس حجم التسليح أو حجم الجيش، كما كان ينظر إليها في السابق. وعلى هذا الأساس غدت القوة العسكرية في عصر المعلومات، تلك القوة التي تعتمد على المعدات الإلكترونية والمحملة (بكتلة معلومات، ابتداءً من أقمار التجسس إلى الغواصات مرورًا بالطائرة المقاتلة التي أصبحت عبارة عن حاسب آلي طائر، فضلًا عن الأسلحة الصامتة التي تم إنتاجها بفضل حاسبات آلية وعناصر إلكترونية شديدة التطور)^(٣٤).

أما الثروة فإنها تعني القوة الاقتصادية، والمعرفة تعني التقانة الفائقة المعتمدة على الحاسوب والمهارات رفيعة المستوى.

إن مما يجب الإشارة إليه في هذا الصدد أن المجتمع الأمريكي يمتلك هذه القوة بأبعادها الثلاثة، وأن ثمة مؤشرات دالة على ذلك.

أ- لقد بلغت قيمة الإنفاق على البحث العلمي في القطاعين العام والخاص مبلغًا كبيرًا قُدِّرَ بـ: (١٢٠) مليار دولار سنويًا، وهو يعني ثلاثة أضعاف ما تنفقه اليابان^(٣٥) وهو كذلك يزيد على إنفاق كل من اليابان وألمانيا وفرنسا وبريطانيا مجتمعة في ميدان البحث العلمي^(٣٦).

ب- ولما كان الإنفاق كبيرًا في ميدان البحث العلمي، فقد احتل المجتمع الأمريكي مركز الصدارة في المعرفة^(٣٧) التي تعد إحدى أبعاد القوة بدليل أن مُصنَّعي الحاسوب في الولايات المتحدة يسيطرون على (٦٩٪) من السوق العالمي للحاسوب، بينما تتقاسم النسبة المتبقية الشركات اليابانية إلى جانب بعض الشركات الأمريكية^(٣٨).

ج- في آب من عام ١٩٩٤ أصدر البيت الأبيض بيانًا بعنوان (العلم في المصلحة القومية)، إذ تم التركيز فيه على ضرورة دعم المؤسسات الاجتماعية والبرامج الحكومية التي تسهم في نشر المعرفة^(٣٩). كما ركَّز البيان على دعم النظام التربوي، ليتسنى له تهيئة العلماء والمهندسين للقرن

الحادي والعشرين^(٤٠).

إن من البين الواضح أن إصدار مثل هذا البيان والتشديد على ضرورة الأخذ به، يعني أن متخذ القرار مصمم على تحقيق سبق والتميز في الميدان المعرفي.

٧- لا ننسى ونحن نتعرض لموضوع الإنجاز المجتمع الأمريكي الإشارة إلى أن الثقافة السائدة تؤكد المنافسة^(٤١) اعتمادًا على الكفاءة أو الجدارة، وبدوجب الكفاءة التي يتمتع بها الفرد يتمكن من بلوغ المكانة المرموقة التي يطمح في الوصول إليها. وإذن، فإن بلوغ الفرد للمكانة المرموقة، تقتضي أن يكون منافسًا لغيره، وعندما يحقق أهدافه يبدأ في شوط آخر من الكفاح، ألا وهو: ديمومة الإنجاز والمحافظة على ما تحقق، وذلك بسعيه المستمر إلى زيادة إنتاجه وتطوير مهاراته وتحسين كفاءته، وذلك هو ديدن مجتمع الجدارة.

وهنا نصل إلى مسألة لا بد من الإشارة إليها وهي أن إعطاء الأولوية للمؤسسة التربوية في أن تحقق مقولة مجتمع الجدارة Meritocratic society أو مجتمع دائم التعلم دون غيرها من مؤسسات المجتمع، إنما يؤكد حقيقة أن المحافظة على مركز الصدارة والتميز في عالم تسوده المنافسة، إنما يأتي عن طريق زيادة المحصول المعرفي لعموم المجتمع، وتلك مهمة تنهض بها المؤسسة التربوية دون غيرها.

٢- المجتمع الياباني

يعد الدأب والمثابرة والإنجاز والحرص على بلوغ التفوق خصائص شخصية يتميز بها الفرد الياباني، وكان أثر هذه الخصائص واضحًا في الإنجاز، فلقد تمكن المجتمع الياباني من التغلب على ثلاث مشكلات رئيسة:

فأما الأولى: فهي مشكلة قلة الموارد الطبيعية.
وأما المشكلة الثانية: فهي الكثافة السكانية.
وأما المشكلة الثالثة: فهي الآثار المترتبة على الحرب.

إن هذه المشكلات الثلاث، لم تكن عائقًا أمام ازدهار المجتمع الياباني، بل جعل منها اليابانيون أسلوبًا للنهوض والازدهار، وكأنهم أرادوا أن يقولوا للآخر: إنه بالرغم من فقر البيئة ودمارها، فضلًا عن الكثافة السكانية، فإنهم قادرون على أن يحتلوا مكانة مرموقة على مدارج الحضارة العالمية.

والبيانات الرسمية تثبت صحة ذلك، فلقد احتلت اليابان الترتيب (٩) طبقًا لتقرير التنمية البشرية لعام ٢٠٠٠، وبلغت قيمة دليل تنميته البشرية (٠.٩٢٤)^(٤٢) فضلًا عن كونها ثاني اقتصاد في العالم، بعد الاقتصاد الأمريكي، ولقد تحقق كل ذلك بفضل المثابرة والحرص على بلوغ التميز.

والحقيقة أن الحديث عن الإنجاز الياباني يقودنا إلى الحديث عن الأسباب التي مكنت هذا المجتمع من الوصول إلى هذا المستوى من التفوق والتميز، ويكفي في هذا السياق أن نستعرض أسباب الإنجاز في المجتمع الياباني.

١- لقد غدا تحصيل المعرفة إحدى العوامل التي أسهمت في تقدم المجتمع الياباني، إذ لم تعد المسافات أو اللغات الأجنبية عائقًا أمام اكتساب المعرفة. فهذا الإمبراطور مييجي يُوصي اليابانيين بضرورة تحصيل المعرفة من أنحاء متفرقة من العالم، إذ يقول في هذا الصدد: (إن المعرفة سوف يبحث عنها ويقتني أثرها في كل أنحاء العالم)^(٤٣).

ووفقًا لهذه التوصية أرسلت اليابان أبناءها إلى البلدان المتقدمة لدراسة العلوم والمعارف المختلفة التي تساعد على النهضة، وبالفعل فإن النهضة التي شهدتها اليابان في ميادين مختلفة من الحياة، إنما كانت نتيجة البعثات التي

أرسلت إلى الخارج واستيراد التقانة الحديثة مع إجراء تحويل أو تعديل عليها بما يتناسب والظروف المحلية، وبذلك طوعت المعرفة وحوورت أو عدلت التقانة بطريقة تتناسب مع طبيعة الحياة هناك.

٢- وربما يعود بعض الإنجاز الذي حققه المجتمع الياباني، إلى الأسلوب المتبع في اختيار الملاك التدريسي وتدريبه وإعداده للمراحل الدراسية كافة، وهو الأمر الذي جعله عاملاً فاعلاً في العملية التربوية.

فالمعلم لا يُعيَّن في اليابان إلا بعد مضي مدة لا تقل عن السنة، ثم بعد ذلك تتقرر صلاحيته للتدريس استناداً إلى كفاءته، ومعيار الكفاءة هنا، هو النجاح في التدريب الميداني المعدّ لهذا الغرض، فمن أثبت كفاءة في مجال التدريس يُقبل تعيينه، والعكس صحيح يُرفض تعيينه إن أخفق في إثبات الجدارة المطلوبة.

ويشتمل التدريب الميداني على برنامج تربوي ينحصر في المدرسة التي يُعين فيها المعلم المستجد، إذ يتضمن هذا البرنامج على مصاحبة لأحد المعلمين القدامى في المدرسة، تلك المصاحبة التي تشتمل على الدخول في غرفة الدرس وملاحظة المعلم الأقدم وهو يلقي محاضراته^(٤٤)، والأساليب المتبعة في إيصال المادة العلمية للمتعلمين، ثم بعد ذلك يُخصَّص المعلم الأقدم بعض الساعات للمعلم المستجد، لكي يتولى أثناءها عملية التدريس^(٤٥).

والحقيقة أن التدريب الميداني عن طريق المصاحبة لأقدم معلم في المدرسة؛ يهدف بين ما يهدف إلى تنمية المهارات التدريسية للمعلم المستجد، إلى جانب تقديم الإرشاد التربوي له في القضايا التي تخص العملية التربوية.

لقد عدَّ المعلم لبَّ العملية التربوية ومحورها، ولأنه كذلك فقد حظي باحترام وتقدير المجتمع، والدليل على ذلك، أن مهنة المعلم تعد واحدة من أربع مهن مفضلة في المجتمع الياباني^(٤٦). ومما جعل المعلم يحظى بالمكانة

الاجتماعية المرموقة أن المؤسسة التربوية منحتة (سلطة القاضي وهيبة العسكري وراتب الوزير)^(٤٧).

وهذا معناه جملة أن المؤسسة التربوية هناك أدركت بما لا يدع مجالاً للشك أن تحسين المستوى الاقتصادي للمعلم، فضلاً عن تحسين مكانته الاجتماعية يزيد من إنتاجه المعرفي، ويؤدي كذلك إلى تحسين مهاراته التدريسية.

٣- إن المستوى المعرفي في عموم اليابان يكاد يكون متقارباً^(٤٨). فليس هناك اختلاف بين مدرسة وأخرى أو تفوق مدرسة على أخرى في إمكاناتها المادية أو العلمية، فكلها تتمتع بإمكانات مادية وعلمية تكاد تكون متقاربة، وهو الأمر الذي جعلها متفوقة طبقاً لمعيار المؤسسة التربوية.

٤- لقد عمدت الأسرة اليابانية إلى تأكيد القيم المعرفية، وذلك من خلال جعل الأبناء يستدخلونها إلى أنساقهم القيمة منذ نعومة أظفارهم، بدليل أن الأسرة هناك تتخلى عن بعض مطالبها الحياتية؛ بقصد تيسير مستلزمات التعليم لأبنائها^(٤٩)، وهذا إن دل على شيء، إنما يدل على أن الأسرة اليابانية تولي لمسألة التعليم عناية كبيرة.

والحقيقة أن الأمر لا يقتصر عند تيسير مستلزمات التعليم فحسب، بل يشتمل أيضاً أن الأسرة تسعى جاهدة لتهيئة أجواء دراسية مناسبة تساعد الأبناء على بلوغ التفوق، وهذا ما يمكن ملاحظته في أيام الامتحانات^(٥٠) وعلى ذلك فإن الأسرة تعد محددًا مهمًا في الإنجاز الذي يحققه أبنائها.

٥- تصنف المجتمعات البشرية من حيث الجماعات التي تتألف منها، إلى أنواع ثلاثة، تمتد على متصل متدرج، يبدأ النوع الأول بالمجتمع المتجانس يقابله على الطرف الثاني المجتمع الفسيفسائي، ويتدرج بين هذين النوعين نوع ثالث يطلق عليه المجتمع المتعدد^(٥١).

ويقصد الإيضاح نقول: إن المجتمع المتجانس عادة ما يتألف من جماعة واحدة متجانسة، إذ تتحدث بلغة واحدة، وتدين بدين واحد، وتجمعها أعراف وتقاليد مشتركة، وتمتع بتراث واحد.

وأما المجتمع الفسيفسائي فهو المجتمع الذي يتألف من جماعات عدة أو من قوميات وأقليات عدة، لكل منها لغتها، وتقاليدها، وأعرافها، وتراثها، إذ لا يجمعها جامع، سوى الأرض والعيش المشترك.

وأخيرًا المجتمع التعددي وهو المجتمع الذي يجمع بين صفات المجتمع الأول والمجتمع الثاني، والألفة والانسجام بين جماعاته يكاد يكون ضعيفًا. وما يهنا هنا من تصنيف المجتمعات البشرية، هو أن نضع المجتمع الياباني في الفئة التي ينتمي إليها.

وبما أن المجتمع الياباني يتألف من جماعة أثنية واحدة، وتجمعها الأصول اليابانية المشتركة، فإنه يمكن القول: إنه مجتمع متجانس، أي: يقع ضمن فئة النوع الأول، وبالرغم من تعدد الأديان فيه، فإن ذلك لم يؤثر على تجانسه، وذلك - كما سنرى - أن هذه الأديان تضافرت كلها في ترسيخ الولاء للوطن.

وهنا نصل إلى مسألة لا بد من الإشارة إليها، وهي أن التجانس الحادث في المجتمع الياباني لم يكن صفة فريدة يتمتع بها وحده في هذا العالم، بل هناك مجتمعات بشرية تشاركه في هذه الصفة، ولكن ما يميزه عن هذه المجتمعات أن تجانسه هذا ينتمي إلى المجتمعات التي يطلق عليها بمجتمعات التأليف (Familiarising) وتكاد تكون هذه المجتمعات قليلة، بينما ينتمي غيره إلى مجتمعات التشتيت (Strangering) وتلك صفة تتميز بها أغلب المجتمعات المتجانسة.

إن المقصود بمجتمع التأليف: هو ذلك المجتمع الذي يكون فيه الفرد

متوحداً مع الجماعة، وأن عمليات التفاعل الحادثة بين الفرد وغيره من الأفراد، تستند إلى فكرة التبادل، أي: تستند إلى فكرة الأخذ والعطاء^(٥٢). بينما الأمر جد مختلف مع مجتمع التشتيت، إذ لا يتوحد فيه الفرد مع الجماعة، بمعنى أنه يتبع أسلوب رفض التوحد مع الآخرين^(٥٣)، وأن عملية التفاعل الحادثة في التنظيم الاجتماعي لا تستند إلى فكرة التبادل، بل إنها تستند في حقيقة الأمر إلى فكرة واحدة فحسب؛ فإما الأخذ وإما العطاء.

وهنا تبرز الخصوصية الثقافية للمجتمع الياباني، تلك الخصوصية التي أصبحت عاملاً مشجعاً على الإنجاز، والحقيقة أن مجتمع التأليف الذي تنتمي إليه اليابان له جذور ضاربة في الثقافة السائدة، ذلك أن جذور هذا المجتمع تعود إلى مرحلة ما قبل التصنيع، أي: إلى المرحلة الزراعية التي كانت سائدة آنذاك، فلقد وجد أن اليابانيين كانوا يتصفون بقوة علاقاتهم الأسرية، فضلاً عن العلاقات الاجتماعية القوية الحادثة بينهم ضمن التجمعات القروية.

ولبيان طبيعة هذه العلاقات، نقول: إن التجمعات القروية كان يشيع فيها أسلوب جمع المال لمساعدة الآخرين الذين يكونون بحاجة إليه عندما يرومون بناء منزل على سبيل المثال، أو يخرج أفراد الأسرة كلهم للعمل في حقل أسرة أخرى يوماً وفي حقل أسرة أخرى يوماً آخر، وهكذا يتناوبون العمل فيما بينهم^(٥٤).

وعندما انتقل المجتمع إلى مرحلة التصنيع، ترك الفلاحون قراهم وهاجروا إلى المدينة للعمل في الصناعة وفي المؤسسات الأخرى. ومما يلاحظ على هؤلاء القرويين أنهم كانوا أشد تمسكاً بتقاليدهم وروابطهم الاجتماعية التي كانت سائدة لديهم في التنظيم القروي، هذا يعني أن مجتمع المدينة وهو المجتمع الجديد الذي ينطوي على منبهات الإثارة والانبهار والإحساس بالمجهولية والضياع، لم يتمكن من إضعاف روابطهم الاجتماعية التي يغلب

عليها الطابع القروي؛ ولأنهم كانوا أشد تمسكًا بهذه الروابط، فقد خفت عليهم كثيرًا من مشاعر الاغتراب.

ولعل ما يميز هذه المرحلة أن الروابط المؤسسية أخذت تحل محل الروابط القروية التي تميز بها المجتمع في مرحلة ما قبل التصنيع، وهذا معناه أن الروابط القروية انتظمت في المؤسسات أو الشركات؛ إذ أصبحت أشبه بالقرى من حيث علاقاتها الاجتماعية، بدليل أن الفرد الذي ينضم إلى إحدى هذه الشركات أو المؤسسات يشعر بالفخر والاعتزاز وهو ينتسب إليها، وعادة ما يعبر عن فخره واعتزازه هذا بحرصه على اقتناء شارة الشركة أو المؤسسة التي يعمل فيها ووضعها على صدره^(٥٥)، ليشعر الآخرين بانتماؤه المؤسسي، فهي إذن علامة فخر واعتزاز بالنسبة له، وهي تعبير عن الانتماء إلى الجماعة التي غدا عضواً فيها.

من هنا يمكن وصف العلاقات الاجتماعية الحادثة بين الأفراد داخل المؤسسات أو الشركات، بأنها علاقات تتصف بالدفع، ولما كانت كذلك فإن الفرد يعد المؤسسة أو الشركة التي ينتسب إليها بأنها أسرته. وإذا نحن حللنا التفاعل اللفظي الحادث في ميدان العمل، وجدنا أن ثمة إشارات صريحة وواضحة تنعت المؤسسة أو الشركة بالأسرة^(٥٦).

نشير في هذا السياق، إلى أن إحدى الدراسات التي أجريت في اليابان، استهدفت استطلاع آراء الأفراد العاملين في المصانع أو الشركات حول الرجل المثالي. ولتحقيق هدف الدراسة، وجه إلى الأفراد في هذا الصدد السؤال الآتي: من يكون الرجل المثالي؟

ووضع لهذا السؤال بديلان اثنان، البديل الأول: يفيد معنى الشخص الصديق الذي يمكن الاعتماد عليه في حال طلب العون والمساعدة ولكنه غير

كفاء في عمله، والبديل الثاني: يفيد معنى الشخص الكفاء في عمله ولكنه لا يكثرث بالآخرين. ولقد أظهرت نتائج الاستطلاع أن (٧٢٪) من أفراد العينة، فضلوا الشخص الأول^(٥٧). وعلى غرار السؤال الوارد الذكر، أجاب (٧٨٪) من أفراد العينة، أنهم يفضلون الشركة التي تهتم بالعلاقات الإنسانية بالرغم من قلة الرواتب التي تدفعها إليهم^(٥٨).

إن من بين الواضح أن علاقة الفرد بالمؤسسة التي ينتسب إليها، هي علاقة اجتماعية أو هي علاقة إنسانية أكثر من كونها رابطة مؤسسية، وهو الأمر الذي يدفع الفرد إلى التباري من أجل بلوغ الامتياز داخل أسرته (مؤسسته).

٦- ولعل من العوامل التي زادت من الإنجاز لدى الفرد الياباني، أن النظام الحكومي استقطب الأفراد الذين يتمتعون بالكفاءة والمهارة^(٥٩) ووزعهم على الأماكن التي تتناسب مع كفاءتهم، انطلاقاً من مقولة: الشخص المناسب في المكان المناسب. ومما زاد من استقرار الكفاءات، ومن ثمَّ زيادة إنتاجيتها، أن الحكومة اليابانية شرعت نظاماً للكفاءة والجدارة Merit system بعد عام ١٨٦٨ الذي تم بموجبه تقويض للمحسوبية^(٦٠) والمنسوية التي كانت شائعة في المجتمع آنذاك.

وَبِطَبِيعَةِ الْحَالِ فَإِنَّ هَذَا النِّسْبَةَ قَدْ أَشَاعَ حَقِيقَةَ الْمَسَاوَاةِ بَيْنَ الْمَوَاطِنِ، عَلَى أَنَّ الْكِفَاءَةَ أَوْ الْجِدَارَةَ الَّتِي يَتَمَتَّعُونَ بِهَا تَكُونُ كَلِمَةَ الْفَصْلِ فِي مَسْأَلَةِ الْأَفْضَلِيَّةِ.

وهنا نصل إلى مسألة لا بد من الإشارة إليها، وهي أن تأكيد المساواة بين المواطنين ثم استقطاب أصحاب الكفاءات ومنحهم الامتيازات والمكانة المرموقة التي يستحقونها، لا بد أن تشيع مبادئ تؤكد الولاء الوطني، وهنا يكون الولاء للإمبراطور حصراً، فضلاً عن احترام الكفاءة والإنجاز^(٦١).

وما دمنا نتحدث عن الولاء للإمبراطور، نشير في هذا الصدد إلى أن

الإمبراطور في وقت مضى أضيفت عليه هالة من القداسة، مستمدة من الاعتقاد الشائع أن الإمبراطور هو ابن الآلهة، وأن الشعب الياباني يرجع في أصوله السلالية إلى أسرة الإمبراطور^(٦٢)، ومعنى ذلك أن ثمة علاقة قرابية تربط الفرد بالإمبراطور، وعلى وجه التحديد أن علاقة الفرد بالإمبراطور هي علاقة أبوة، ومن هنا يكون الولاء للوطن، إنما هو في حقيقته ولاء للإمبراطور.

لقد شرع قانون آخر عد المواطنين سواسية أمام القانون، ثم بعد ذلك عمد هذا القانون إلى توسيع قاعدة المشاركة في السلطة^(٦٣). والحقيقة أن هذه التشريعات لا بد أن تزيد من الولاء والإخلاص والمثابرة، وستكون المحصلة لذلك تحقيق المزيد من الإنجازات.

كذلك فإن التقارب الحاصل بين النخبة المثقفة والنخبة السياسية^(٦٤)، قد أزال بعض العقبات التي تعترض سبيل التعاون بين الطرفين، ومن ثمَّ فإن هذا التقارب قد أسهم بدوره في تأكيد ولاء المواطن نحو المجتمع، وبهذا المعنى فإن النخبة الحاكمة قد أصبحت قريبة من النخبة المثقفة وغير منعزلة عنها. كما أن النخبة المثقفة أسهمت بشكل فاعل في قرارات النخبة الحاكمة، ولا سيما في القرارات المتعلقة بالمسألة المجتمعية.

٧- لقد تميزت الإدارة اليابانية بأسلوبها المنفرد في استثمار الموارد البشرية Human Resource ذلك الأسلوب الذي أسهم في زيادة وتائر الإنتاج كماً ونوعاً.

إن ما يجب الإشارة إليه في هذا الصدد، أن فلسفة الاستثمار كانت تستند إلى استراتيجيتين:

الاستراتيجية الأولى: تؤكد أن الموارد البشرية للمؤسسة أو الشركة هي ثروة رئيسة^(٦٥)، ولذا تحرص المؤسسة هناك على تنميتها والاهتمام بها وعدم

التفريط بها، وذلك من خلال أساليب التدريب والتغذية المستمرة بالمعلومات.

الاستراتيجية الثانية: تؤكد أن ثمة علاقة بين العاملين والمؤسسة^(٦٦)، تلك العلاقة التي يوحدتها الهدف المشترك، وهو وجود المنفعة المتبادلة، وهذا يعني أن العاملين يعدون الركن الرئيس في المؤسسة، إذ لا تتمكن من أداء أعمالها، ما لم ينتظم فيها العاملون. ولذا فإن المؤسسة تحرص كل الحرص على إشعار العاملين فيها بأهميتهم.

ولتحقيق هذه الإستراتيجية هناك عدد من الأساليب الإدارية، وكيفينا في هذا السياق، أن نستعرض أهمها ألا وهو الأسلوب المرتبط بالتشغيل.

إن هذا الأسلوب يتميز بجملة خصائص، وهي تعكس في حقيقة الأمر أسلوب الإدارة اليابانية التي حققت معدلات عالية في الإنتاج، ولعل من أبرز خصائص هذا الأسلوب:

أ- أسلوب الاختيار

إن هذا الأسلوب يراعي قدرة الفرد على التكيف لظروف العمل داخل المؤسسة، وعلى هذا الأساس فإن الفرد الذي يكون أكثر تكيفاً لظروف العمل، تكون فرصته في الاختيار أفضل من غيره الذي يظهر تكيفاً سيئاً.

ب- التدريب المستمر

تركز الإدارة اليابانية كثيرًا على أسلوب التدريب أثناء الخدمة، فهو يبدأ من بداية خدمة الفرد وينتهي بنهايتها، مما يؤدي في نهاية المطاف إلى إجادة العمل ومن ثمَّ يزيد من الإنتاج.

واللافت للانتباه أن الشركات أو المؤسسات تحرص كل الحرص على تنمية مهارات العامل المستجد، وذلك باتباع طريقة تكاد تكون فريدة في عملية

تتمية المهارات، هذه الطريقة تسمى في المؤسسات اليابانية بالأب الروحي (العراب) God Father، والمقصود بالأب الروحي هنا أن العامل المستجد يكون على اتصال دائم بأحد الملاكات، الوسطى الذي مضت على خدمته (١٠) سنوات، وعادة ما يكون من الجامعة نفسها التي تخرج فيها العامل المستجد^(٦٧).

والجدير بالإشارة أن الأب الروحي يؤدي وظيفة الإرشاد والتوجيه للعامل المستجد أثناء الخدمة، لكي ينمي مهاراته المتعلقة بالعمل، وفي الوقت نفسه يوجهه ويرشده إلى الصواب في أعماله والخطأ الذي يرتكبه.

وإذن فإن الأب الروحي يؤدي وظيفة أبوية، فضلاً عن إحاطته بالإسناد الاجتماعي.

ج- تفضيل الإمام بشئون العمل على التخصص

يركز هذا الأسلوب، على ضرورة إمام العاملين بمستلزمات العمل كافة داخل المؤسسة، ولا ينبغي الإمام بحقل معين منه^(٦٨). وبطبيعة الحال فإن الإمام بتفاصيل العمل الجارية سيفضي إلى أن تكون هناك مرونة في الحركة داخل المؤسسة، وهذا يعني أن بإمكان موظف الحسابات على سبيل المثال؛ أن يعمل بوظيفة المخازن ويثبت فيها نجاحاً أو موظف المخازن بإمكانه أن يعمل بوظيفة التخطيط ويثبت فيها نجاحاً أيضاً. وبذلك فإن الإدارة اليابانية تركز على الإمام بتفاصيل العمل في المؤسسة كلها، ولا تشجع الإمام بتفاصيل العمل في مجال معين حصراً.

د- بطء الترقية

إن هذا الأسلوب يستند إلى تأخير الترقية، سواء كانت هذه الترقية للعامل أو الموظف، إلى فترة زمنية يكون فيها العامل قد تمكن من الإمام بتفاصيل

العمل، وعند ذلك تعتمد المؤسسة أو الشركة إلى تقويم أدائه لغرض ترقيته.

والترقية قد تكون لإشغال منصب إداري أو لإشغال موقع إنتاجي، على أن يراعى في الترقية مسألة الأقدمية، وفي حالة تساوي الأقدمية للأفراد المرشحين للترقية تراعى هنا مسألة الكفاءة؛ فمن كان كفاءً كان أحق بالترقية من غيره، وهكذا فإن هذا الأسلوب يعتمد على وجود فترة زمنية كافية يكتسب من خلالها العامل المهارات اللازمة التي تؤهله للإمام بمقتضيات العمل، وهذه الفترة بدورها تؤهله للترقية إلى مناصب أخرى.

هـ- بطء تقويم الأداء

تتبع الإدارة اليابانية في تقويم أداء العاملين أسلوباً يستند إلى الفترة الزمنية الطويلة، كأن يكون كل خمس سنوات أو ثماني سنوات، ولعل ذلك يعود إلى أن مستوى الأداء سيكون أكثر وضوحاً في الفترة الطويلة، فضلاً عن أن مسئولين آخرين سيشاركون في عملية التقويم، بينما التقويم الذي يجرى لمدة قصيرة يسهم فيه شخص واحد، وهو المسئول المباشر عن الموظف أو العامل.

و- تحديد الأجور على أساس الأقدمية

لقد اتبعت الإدارة اليابانية في تحديد الأجور للعاملين المستجدين أسلوباً يستند إلى تحصيلهم الدراسي، ثم بعد ذلك تأخذ هذه الأجور بالزيادة بتقادم الزمن^(٦٩). هذا يعني في الواقع أن ثمة عدالة في تحديد الأجور، وهو الأمر الذي يؤدي إلى عدم الإحساس بالغبن والظلم من جانب العاملين الآخرين.

٨- واللافت للانتباه أن البوشيدو Bushido قد أسهم بطريقة أو أخرى في زيادة إنجاز الفرد الياباني، وإذا نحن أمعنا النظر في ما تعنيه كلمة البوشيدو، وجدنا أنها تشير إلى فئة اجتماعية تتمتع بامتيازات خاصة لا تتمتع بها الفئات الاجتماعية الأخرى في المجتمع الياباني. وحقيقة الأمر أن هذه الفئة اتخذت من

الحرب والقتال مهنة لها^(٧٠). وهي بهذا المعنى فئة حربية هيأت نفسها لأغراض شاقة، ومع التسليم بالامتيازات التي تتمتع بها هذه الفئة والمستوليات الملقاة على عاتقها، إلا أن أفرادها شعروا بضرورة أن تكون هناك معايير للسلوك، ولا سيما أن أفراد هذه الفئة ينتمون إلى جماعات^(٧١) وفئات عدة، مما يقتضي ضرورة التفرقة بين سلوك أفرادها عن سلوك الغير.

لذا تميز سلوك أفراد هذه الفئة بالانضباط، فضلاً عن الخصائص الخلقية التي يتمتعون بها، ومن ذلك على سبيل المثال؛ أنه في حال نشوب خلاف بين أفرادها، فإنهم يحتكمون إلى طرف ثالث؛ بهدف التحكيم والإنصاف. وبمرور الوقت تحول البوشيدو من أسلوب متميز في ممارسة القتال إلى أسلوب خلقي؛ ولأنه نظام خلقي فلقد استمد مبادئه من مصادر ثلاثة، هي على وجه الدقة والتحديد مصادر دينية، وبهذا الصدد، يشير نيتوبي مؤلف كتاب (البوشيدو) إلى المصادر الدينية المتمثلة بالديانة البوذية والشتوية والكونفوشيوسية.

لقد بين نيتوبي أثر كل ديانة في تحديد قواعد السلوك وموقف الإنسان من الطبيعة والوطن والحاكم. وإذا نحن تتبعنا تعاليم هذه الديانات الثلاث مع مؤلف كتاب البوشيدو، وجدنا أن البوذية تؤكد تعاليمها الرضا بالأمر الواقع والاستسلام للقدر وتقبل المصائب والأخطار، مما جعلها تبدي ازدياداً بالحياة والاستهانة بالموت^(٧٢).

والمصدر الثاني للبوشيدو وهو الديانة الشنتوية، تؤكد تعاليمها احترام ذكر الأسلاف والإخلاص للسلطة وطاعة الأسرة، كذلك تؤكد تعاليم هذه الديانة فطرية الخير في الإنسان^(٧٣).

وإن أردنا المقاربة مع الاتجاهات النظرية في علم النفس، وجدنا أن بعض الاتجاهات النفسية تؤكد أن الطبيعة البشرية خيرة، ومن الممكن أن نثق بها إن

هيأنا لها الظروف المناسبة للنمو. وإذن فإن هذه الديانة ترى أن الإنسان خير بطبيعته؛ ولأنه كذلك كما ترى فقد أضفت على روح الإنسان نوعاً من القداسة التي يستمد منها الفضائل^(٧٤).

وتؤكد تعاليم هذه الديانة على عبادة الطبيعة، ذلك أن الطبيعة كما ترى هذه الديانة (تزرع في أعماق نفوسنا حب الوطن)^(٧٥) وهذا لا يرجع إلى (الأرض التي نزرع بها الحبوب أو التراب الذي نستخرج منه الذهب، إنه أكبر من ذلك بكثير، إنه موطن الآلهة ومرقد أسلافنا العظام)^(٧٦).

واضح أن تعاليم هذه الديانة تستند إلى وجود علاقة بين عبادة الطبيعة وحب الوطن، فكلما زاد الفرد من عبادته للطبيعة واحترامه لها؛ زاد من حبه لوطنه.

وأما المصدر الأخير للبوشيدو فهو الديانة الكونفوشيوسية، إذ تركز تعاليمها على مبادئ خلقية خمسة، هذه المبادئ هي بِطَبِيعَةِ الْحَالِ، تنظيم للعلاقة الافتراضية بين الحاكم والمحكوم والعلاقة بين الأب والابن والعلاقة بين الزوج والزوجة والعلاقة بين الأخ الأكبر وأخيه الصغير والعلاقة بين الصديق وصديقه^(٧٧).

وإذا نحن أمعنا النظر في هذه المبادئ، وجدنا أنها عبارة عن نظام يهدف إلى تنظيم العلاقات بين الأفراد في التنظيم الاجتماعي من جهة، وكذلك تنظيم العلاقة بين الأفراد والحاكم من جهة أخرى.

وإذن فهي نظام اجتماعي يهدف إلى تنظيم العلاقات بين الأفراد، ويكفيها في هذا السياق، أن نستعرض بعض أقوال كونفوشيوس فيما يخص العلاقة بين الحاكم والمحكوم.

يقول كونفوشيوس: إذا تمثل الأمير بالفضيلة؛ اجتمع حوله الناس، وإذا التف حوله الناس منحته الأرض خيرها، فإذا صار ثرياً أحسن استخدام ثروته، إن الفضيلة هي الأصل وليست الثروة إلا الفرع والثمرة^(٧٨).

وهذه دعوة صريحة بأن يتحلى الحاكم بالاستقامة والفضيلة؛ لأن طاعتهم وولاءهم له، تعتمد بالدرجة الأساس على استقامته، وإن افتقر إلى الفضيلة واهتم بجمع الثروة، يفقد بطبيعة الحال حب الناس وطاعتها له، وعلى ذلك فإن التمسك بالفضيلة والاستقامة يجعل من الأمير (أبا لشعبه حين يجب ما يحبه الناس، وحين يكره ما يكرهه الناس)^(٧٩).

من ذلك نصل إلى استنتاج مفاده؛ أن البوشيدو يعد نظاماً خلقياً هياً مناخاً اجتماعياً مؤيداً للتحديث الذي شهده المجتمع الياباني.

٩- وكذلك يلاحظ على الفرد الياباني، أنه يشعر بكثير من الفخر، وهو يؤدي أعمالاً شاقة^(٨٠). تلك الأعمال التي تقتضي منه بذل المزيد من الجهد، وكأن بالفرد الياباني يجد ذاته في الأعمال الشاقة أو في الأعمال التي تستدعي مجهوداً بدنياً كبيراً، وعلى ذلك فإن المجهود البدني الكبير الذي يبذل في العمل يشعر الفرد الياباني بالفخر، ولعل ذلك يعود إلى الاعتقاد السائد، أن قيمة العمل تزداد بزيادة المجهود الذي يبذل فيه.

واضح أن المجتمع الياباني حقق مقولة: المجتمع المنجز، بالرغم من الصعوبات التي اعترضت سبيل نهوضه، فلقد تغلب عليها بفضل الدافعية التي يتمتع بها أفرادها، وإصرارهم على إزالة الآثار المترتبة على الحرب.

٣- المجتمع الألماني

لقد عانى المجتمع الألماني من مشكلتين أساسيتين، هما: الحرب والنازية، هاتان المشكلتان تصافرتا في تخريب بنيته الاقتصادية وفي تدهور مستوى

التعليم فيه. وبقدر تعلق الأمر بالمشكلة الأولى، نقول: إن المجتمع الألماني عانى الكثير من ويلات الحرب، ولا سيما الحرب العالمية الثانية، تلك الحرب التي دمرت البنية الاقتصادية والصناعية للمجتمع، فضلاً عن سقوط عدد كبير من القتلى في صفوف أفرادهم. فلقد قتل في هذه الحرب ما يقارب خمسة ملايين ونصف المليون رجل.

ولقد ترتب على ذلك اختلال في الهرم السكاني، بمعنى أن عدد الرجال انخفض عن عدد النساء، وصارت الغلبة للنساء، فلكل (١٠٠٠) رجل صار يقابله (١٣٠٠) امرأة^(٨١)، ناهيك عن تعطيل قدرة بعض الأفراد عن العمل، فقد بلغ عدد العاجزين جراء الحرب مليوناً ونصف المليون، كذلك هناك عبء أضيف إلى أعباء الحكومة، وهو إعانة ستة ملايين ونصف المليون ممن يعانون عجزاً كبيراً جزئياً أو كلياً عن العمل^(٨٢) وذلك بصيغة تقديم رواتب شهرية لهم.

ومما زاد من الأعباء الثقيلة للمجتمع، وهو يعاني من الآثار المترتبة على الحرب أن (١٠٪) من أفرادهم قد بلغ (٦٥) سنة كما أن دخول قوات الحلفاء للأراضي الألمانية قد أدى إلى إلقاء القبض على عدد من العلماء والمخترعين الألمان. فالقوات الأمريكية التي دخلت ألمانيا من الجانب الغربي أخذت تبحث عن عدد من العلماء اللامعين في ميدان التقانة العسكرية، إذ ألقت القبض عليهم ونقلوا في الحال إلى الولايات المتحدة بعد تأمين الإجراءات الأمنية لهم.

كذلك فعلت القوات السوفيتية الشيء نفسه عندما دخلت الجانب الشرقي، إذ نقلت عددًا من هؤلاء العلماء إلى الاتحاد السوفيتي ثم عمدت بعد ذلك إلى تفكيك المصانع الألمانية، ونقلها إلى الأراضي السوفيتية^(٨٤). وبذلك يكون المجتمع الألماني قد أفرغ من كفاءاته اللامعة، وكذلك أفرغ من

إمكانياته التقنية.

أما بصدد المشكلة الثانية المتعلقة بالنازية نقول: إن المجتمع الألماني عانى من مشكلات جمة في ذلك الوقت، ولعل من أبرزها: التضيق على حرية الأفراد، وملاحظة المعارضين للنازية، كذلك تعيين الرقابة على الأفراد من غير المنخرطين بالحزب النازي، والتجسس عليهم ولعل الأخطر من ذلك أن النازية عمدت إلى عسكرة المجتمع في قطاعاته كافة، وكانت المؤسسة التربوية إحدى المؤسسات التي تعرضت إلى العسكرة وهنا نركز الحديث على المؤسسة التربوية، لما لها من تأثير في المجتمع والمحاولات التي جرت لعسكرتها.

نقول: إن المؤسسة التربوية التي عُرف عنها بالمستوى المتقدم لمدخلاتها ومخرجاتها، قد أضعف من فاعليتها نتيجة التدخل في سياساتها وخططها، مما أفضى إلى إضعاف مستواها العلمي، وهناك جملة من الأساليب التي أضعفت المستوى العلمي، ومن بينها: ملاحقة أساتذة الجامعة ممن يحملون اتجاهات سياسية مناقضة للفكر النازي^(٨٥) وحتى أولئك الذين لم يلتزموا بأي من الاتجاهات السياسية السائدة، أبعادوا عن التدريس؛ بسبب صمتهم عن تأييد النظام النازي.

كذلك جرت حملات لإبعاد الكفاءات التي تنتمي إلى جماعات أثنية^(٨٦) مختلفة، كما أن المقررات الدراسية في المراحل كافة أعيد النظر فيها، إذ أبطل العمل في المقررات الدراسية القديمة، وحلَّ محلها مقررات جديدة تتناسب مع التوجهات النازية، من ذلك على سبيل المثال، أنها ركزت في معرض معالجتها للموضوعات المجتمعية على الفروق بين الجماعات الأثنية^(٨٧) وكان بهذه المقررات تريد أن تشق وحدة وتماسك المجتمع.

ومما زاد من تدهور المؤسسة التربوية أن النظام النازي أعطى أولوية

للتربية البدنية في حين لم يحظ التدريب العقلي بالأولوية نفسها^(٨٨)، وذلك يرجع أساسًا إلى أن التدريب البدني يعتمد إلى تشكيل السلوك على الطاعة في تنفيذ الأوامر، وهو الهدف المتوخى من العسكرية، في حين أن التدريب العقلي يعتمد إلى تشكيل السلوك على الرفض والمقاومة وعدم التسليم بالأمر الواقع، وهذا ما يتعارض مع توجهات العسكرية، لذا فُضِّل التدريب البدني على التدريب العقلي.

من ذلك نخلص إلى القول: إن المشكلات المترتبة على الحرب، وتلك الناجمة عن النازية قد ولدت مشاعر من اليأس والعجز في إمكانية إصلاح حال المجتمع، ومما زاد من مشاعر اليأس والعجز هذه أن المجتمع فقَد الكثير من أفرادهِ، ولا سيما البناة منهم، سواء من الشباب أو من الكفاءات.

ولنا أن نتصور بعد ذلك المهات الجسام التي سينهض بها المجتمع في وضع عصيب مثل هذا، نقول: إن المجتمع الألماني بالرغم من الآثار النفسية والاجتماعية والاقتصادية المترتبة على الحرب، فإنه استطاع أن يعيد بناء ما دمرته الحرب، ثم يواصل النهوض بفضل ما عرف عن الألمان بأنهم شعب يتميز بالحيوية والنشاط، وتقديس العمل^(٨٩) واحترامه، ومما زاد من مثابرتة ودأبه أنه عانى من الجوع في الفترة التي أعقبت الحرب^(٩٠).

لقد استطاع المجتمع الألماني أن يزيل الآثار المترتبة على الحرب في غضون فترة لم تتجاوز (١٥) سنة^(٩١)، ثم واصل بعد ذلك مسيرته الانجازية، حتى لقد احتل الاقتصاد الألماني الترتيب الثالث في العالم، بعد الاقتصاد الأمريكي والياباني.

نشير في هذا السياق إلى أن المجتمع الألماني احتل الترتيب (١٤) في تقرير التنمية البشرية لعام ٢٠٠٠، وبلغت قيمة دليل تنميته البرية (٠.٩١١)^(٩٢) كما

انخفضت نسبة الأمية بين الكبار بدرجة كبيرة، إذ بلغت (١٪) في عام ١٩٩٨م، كذلك بلغت نسبة الاستيعاب في المراحل الدراسية كافة بما فيها الدراسة الجامعية (٩٠٪)^(٩٣).

وهنا نصل إلى مسألة لا بد من الإشارة إليها وهي أن الإنجاز الكبير الذي حققه المجتمع الألماني في مجالات مختلفة من الحياة مرده عوامل كثيرة نوجزها فيما يأتي:

- ١- العودة إلى الحياة السياسية التي كانت سائدة قبل العهد النازي؛ وذلك بإقرار التعددية السياسية وبيجاد دستور ينظم العلاقات بين الأفراد من جهة، والعلاقة بين الفرد والسلطة من جهة أخرى.
- ٢- إشاعة المؤسسة داخل المجتمع بعد أن ألغيت في العهد النازي، وذلك عن طريق منح مؤسسات المجتمع صلاحيات واسعة في التخطيط والإصلاح والإدارة.
- ٣- الأخذ بمبدأ (الشخص المناسب في المكان المناسب).
- ٤- لقد أدرك النظام السياسي، أن إصلاح البنى التحتية، من دون إدخال إصلاحات جذرية في المؤسسة التربوية، سيضعف من عملية الإنجاز مستقبلاً، لذا انصب كل الجهود لإصلاح هذه المؤسسة الحيوية.

لقد انطلقت خطة الإصلاح التربوي من مقولة مفادها: إن العملية التربوية تركز على ثلاثة أطراف، هي: المعلم والطالب والمقررات الدراسية وسنفضل القول في الحديث عن هذه الأطراف الثلاثة، على النحو الآتي:

- أ- لقد عُدَّ المعلم لب العملية التربوية ومحورها؛ ولأنه كذلك فلقد وضعت الخطط لإعداده للمراحل الدراسية كافة، ابتداءً من المرحلة الابتدائية وانتهاءً بالجامعة. فقد تم إعداد معلم المرحلة الابتدائية في معاهد متخصصة على مستوى الجامعة على أن إعداده يمر بمرحلتين:

ففي المرحلة الأولى من الإعداد: يتم التركيز فيها على الدراسة النظرية وأمدتها ثلاث سنوات.

والمرحلة الثانية من الإعداد: ينتقل فيها الطالب إلى التدريب الميداني ذلك التدريب الذي يشتمل على أساليب التدريس وطرقه، وتستغرق هذه المرحلة فترة تتراوح ما بين (١٨-٣٦) شهرًا. وهذه الفترة تختلف باختلاف النظام التربوي السائد في كل ولاية ألمانية على أن الطائب أثناء التدريب يتقاضى راتبه كاملاً، لغرض التفرغ لشئون التدريب وإجاداته^(٩٤).

أما مدرس المرحلة المتوسطة فيتم إعداده على مستوى الجامعة في فترة تتراوح ما بين (٣-٤) سنوات، إذ يركز فيها على الدراسة النظرية، ثم بعد ذلك ينتقل إلى مرحلة التدريب الميداني، وتستغرق هذه المرحلة فترة تصل إلى (١٨) شهرًا^(٩٥) ولعل الأمر نفسه ينطبق على المدرس في المرحلة الثانوية، ففي مرحلة الإعداد النظري، يُضخ للطالب معارف ومعلومات غزيرة فيما يخص موضوعات التخصص، وتستغرق أربع سنوات، وفي بعض الاختصاصات تصل فترة الإعداد النظري إلى ست أو سبع سنوات^(٩٦).

أما التدريب الميداني فيحتسب على أساس الساعات الأسبوعية، إذ يُطالب المتدرب بساعات تتراوح ما بين (٨-١٠) ساعات في الأسبوع ولفترة (١٨) شهرًا^(٩٧)، ولعل إعداد الأستاذ الجامعي يكون أكثر تعقيداً من إعداد أقرانه في مراحل التعليم الأخرى.

ب- وأما الطالب وهو الطرف الذي توجه إليه العملية التربوية، فلقد صدرت تشريعات تقضي أن يكون التعليم إلزامياً، ابتداءً من سن السادسة وحتى الثامنة عشرة من العمر^(٩٨). وهو ما يعادل في مدارسنا العربية العمر في نهاية المرحلة الثانوية. كذلك عمد النظام التربوي إلى إشاعة المساواة بين الطلبة

جميعًا في الالتحاق بالدراسة، وأما الطلبة الذين لا يتمكنون من الالتحاق بالدراسة بسبب محدودية دخل أسرهم، فقد قُدمت لهم إعانات أثناء فترة الدراسة للتغلب على مشكلاتهم المادية، على أن يراعى في هذه الإعانات دخل الأسرة^(٩٩).

وهذا يعني أن مقدار الرعاية تعتمد بالدرجة الأساس على مقدار الدخل، فكلما كان الدخل قليلاً مقارنة بالأسعار الجارية كانت الإعانة كبيرة، وكلما كان الدخل كبيراً، كانت الإعانة قليلة.

ولعل من التشريعات الصادرة لتحسين مدخلات العملية التربوية، تشجيع الطلبة الذين يتمتعون بقدرات عقلية يفوقون بها أقرانهم على التقديم للدراسات العليا^(١٠٠)، مع تقديم بعض التسهيلات التربوية لهم إلى جانب أن الطلبة الذين يحققون إنجازاً دراسياً حسناً، كانت ثمة مكافآت تقدم إليهم، لذا لا غرابة أن نجد درجة الامتياز كانت الهدف الذي يسعى إليه جميع الطلبة^(١٠١).

ج- وفيما يخص المقررات الدراسية التي تعد وسيلة الاتصال الحادثة بين النظام التربوي والمتعلم، فلقد انصبت جهود الإصلاح التربوي على تخليصها من الأفكار التي شاعت فيها إبان الحكم النازي، وذلك بتشكيل لجنة تتولى إصلاحها ومن ثم إعدادها.

وقد ضمت هذه اللجنة عددًا من المدرسين والباحثين المتخصصين في المناهج والسياسيين ووزراء الثقافة في الولايات الألمانية، وفي الحكومة المركزية، ولضمان الدقة في إعداد هذه المقررات، فقد أُجري مسح لآراء أولياء أمور الطلبة انصبَّ هذا المسح على المقترحات الواجب مراعاتها في مسألة إصلاح المقررات الدراسية^(١٠٢)، وبموجب توصيات ومقترحات اللجنة المكلفة بإصلاح المقررات الدراسية أعدت مقررات للمراحل الدراسية كافة

مع مراعاة إدخال التعديلات عليها بما يتناسب والتطورات المعرفية التي تشهدها الحضارة العالمية.

٤- المجتمع الكوري الجنوبي

تعد كوريا الجنوبية إحدى النمر الأسيوية الأربعة التي حققت نموًا اقتصاديًا، غدا مثار إعجاب الكثير من المتخصصين والباحثين في ميدان السياسة والاقتصاد. فلقد حقق هذا المجتمع الذي لا تزيد نهضته على الخمسين عامًا تنمية بشرية عالية إذ احتل الترتيب (٣١). طبقًا لتقرير التنمية البشرية لعام ٢٠٠٠، وبلغت قيمة دليل تنميته البشرية (٠.٨٥٤) (١٠٣).

واللافت للانتباه أن المجتمع الكوري قد أولى التعليم عناية كبيرة بدليل أن نسبة الأمية قد انخفضت بدرجة كبيرة جدًا، إذ بلغت (٢.٥٪)، كما بلغت نسبة الاستيعاب في المراحل الدراسية كافة (٩٠٪) (١٠٤) وهي نسبة عالية مقارنة بالنسب التي حققتها البلدان المنجزة في هذا المجال.

في هذا السياق نشير إلى أهم العوامل المشجعة على الإنجاز في المجتمع الكوري:

١- إن التعاليم التي تدعو إليها الديانة الكونفوشيوسية في الحض على طلب العلم والمعرفة (١٠٥) ربما تكون واحدة من العوامل التي جعلت المجتمع يحقق معدلات عالية من الإنجاز.

٢- ولعل النسبة الكبيرة التي وصل إليها المجتمع في ميدان التصنيع الثقيل شاهد صدق على الإنجاز الذي يتمتع به هذا المجتمع، فلقد ارتفعت نسبة التصنيع الثقيل حتى منتصف الثمانينيات إلى (٥٥٪) (١٠٦). على أن هذه النسبة ستشهد ارتفاعًا ملحوظًا بمرور الوقت.

٣- لقد عُد العمل في الثقافة الكورية عبادة (١٠٧). والعبادة بطبيعتها الحال فإن يقدم المتعبد فروض الطاعة والولاء للمعبود، ولما كان المعبود هنا العمل، إذ لا مجال للتهاون أو التراخي أو التقصير ذلك أن التهاون أو التقصير

يعني الإخلال بواجبات العبادة.

إن إضفاء هالة من التقديس على العمل قد أفضى إلى الإخلاص، وهذا بدوره قد ولد شعورًا بالرضا عن الكد والاجتهاد والمثابرة بين الأفراد. وحسبنا أن نشير هنا إلى أن ساعات العمل في العالم قد بلغت أعلى معدل لها في المجتمع الكوري، وهي حصرًا (١٠) ساعات^(١٠٨)، والحقيقة إن دل هذا على شيء إنما يدل على أن العمل يعني للفرد الكوري عبادة. وليس هذا وحسب بل إن حب الأفراد للعمل المتقن^(١٠٩) وسعيهم إلى تأكيد ذواتهم من خلاله قد أفضى هو الآخر إلى تحقيق إنجاز عال.

١- إن احترام الوقت^(١١٠) يعد أحد أسباب النجاح في التجربة الكورية، وهنا أحسن استثمار الوقت بمعنى أن الوقت غدا قيمة حضارية ينبغي استثماره بشكل عقلائي، وذلك لتحقيق المزيد من الإنجازات في محاولة لتقليص الهوة مع العالم المتقدم، وهذا ما يجري حقيقة في المجتمع الكوري.

٢- إن كفاءة المؤسسة التربوية تعد من العوامل المهمة التي أسهمت في الإنجاز المتحقق في المجتمع الكوري. وهناك عدد من الأدلة الواقعية التي تثبت كفاءة هذه المؤسسة، ولعل من أهمها:

أ- تشير الوقائع أن المعلم الكوري يتصف بالإخلاص والتفاني من أجل الارتقاء بمستوى تلاميذه، ولقد دفعه إخلاصه هذا إلى تكريس جل وقته داخل المدرسة^(١١١)، وذلك لمتابعة المسيرة الدراسية لبعض التلاميذ الذين يعانون من تأخر دراسي أو ضعف في بعض المواد الدراسية، وقد حظي بالمكانة الاجتماعية المرموقة^(١١٢)، إثر الإخلاص في عمله بمعنى أن المعلم غداً يحظى بالاحترام والتقدير داخل المجتمع، نتيجة للجهود التربوية غير الاعتيادية التي يبذلها، ولعل زيادة معدلات النجاح إلى جانب زيادة الإنجاز المعرفي، عُد أحد المؤشرات الدالة على تفاني المعلم وإخلاصه.

ب- إن المؤسسة التربوية تستند إلى مجموعة من القيم المشجعة على الإنجاز، تلك القيم التي تتلخص بالهوية الوطنية، والنزعة الإنسانية، والأخلاق، والنزعة التقدمية^(١١٣)، فالهوية الوطنية على سبيل المثال، قيمة تؤكد الإخلاص والولاء للوطن، والحقيقة أن إشاعة مثل هذه القيمة بين الأفراد في الوسط التربوي سيفضي إلى تهيئة أجواء تقبل الإنجاز وتحث عليه والنزعة الإنسانية تؤكد التعاون والمساواة بين الأفراد ومحاولة بلوغ الأهداف النبيلة، وهي في مضمونها الظاهر والمستتر الحث على الإنجاز. أما الأخلاق فتعني: تقويم النمط السلوكي طبقاً لأحكام الضمير، وهي في حقيقة الأمر قيمة مشجعة على الإنجاز ذلك أن الإنجاز يقتضي بين ما يقتضي التفاني في إنجاز المهمات لذا غدت الأخلاق إحدى القيم التي تستند إليها المؤسسة التربوية في حث أفرادها على الإنجاز. وبالنسبة للنزعة التقدمية فتعني: الدعوة إلى طلب المعرفة والحث عليها وإشاعة التحرر من الأفكار اللاعقلانية والدعوة إلى تحسين الأحوال الاقتصادية وتقليل التفاوت بين الفئات الاجتماعية. وإذا نحن أمعنا النظر في هذه القيمة سنجد أن مضمونها يتطابق مع مضمون الإنجاز، ولا سيما الانطلاق نحو تحقيق المزيد من النجاح والتفوق.

ج- لقد أدى الطلب المتزايد على الأيدي العاملة الماهرة، إثر عمليات التنمية الواسعة التي شهدتها المجتمع الكوري إلى إحداث سلسلة من التغييرات في المؤسسة التربوية^(١١٤)، التي كان الهدف منها تهيئة المهارات اللازمة لعمليات التنمية الجارية، وهذا يؤشر بطبيعة الحال الكفاءة التي تتمتع بها المؤسسة التربوية التي كانت استجابتها سريعة للتغيرات المجتمعية.

٦- ومما يدعم توجهات الإنجاز في المجتمع أن ثمة اهتماماً بمؤسسات

البحث العلمي^(١٥)، ولقد تمثل هذا الاهتمام بزيادة الإنفاق المادي وتيسير الإمكانيات الثقافية التي يعتمد عليها في التجريب، إلى جانب رفدها بالملاكات الفنية المدربة، وقد أسهمت هذه المؤسسات بشكل واضح في إيجاد الحلول للمشكلات التي تعاني منها قطاعات المجتمع.

إن المجتمع الكوري الجنوبي بحث الخطى لتحقيق المزيد من الإنجاز بالرغم من الصعوبات التي تعترض سبيل إنجازها، ولا سيما في ميدان تقانة الكمبيوتر، لذا فإن عزيمة وإصرار أبنائه في التطلع إلى مستقبل زاهر لم يعد ثمة ما يعيق في بلوغ هذا الهدف.

وبعد ما الذي نستخلصه من تجارب هذه المجتمعات، ولا سيما ونحن نتصدى لموضوع الإنجاز في المجتمع العربي؟

بعد استعراض تجارب هذه المجتمعات، نستخلص الآتي:

١- أن هذه المجتمعات اعتمدت بالدرجة الأساس عند نهضتها على العامل التربوي، ولا يخفى ما لهذا العامل من تأثير في الرقي والتقدم، فلقد أحسنت المؤسسات التربوية هناك من إعداد الملاكات التدريسية من حيث الانتقاء والتدريب والاعتداد، فضلاً عن تيسير مستلزمات العملية التربوية، معتمدة على مقولة: إن رقي نوعية المدرسة يزيد من إنجاز المجتمع، وبخلافه يغدو المجتمع بلا مدارس عندما تنخفض هذه النوعية.

٢- كذلك فإن هذه المجتمعات اعتمدت على دستور واضح ينظم العلاقة بين الحاكم والمحكوم من جهة، وبين المحكومين أنفسهم من جهة أخرى. وقد ساعد ذلك على إشاعة الأمن والاستقرار، وبالتالي فإن ذلك قد أشاع الإنجاز بين عدد كبير من الأفراد.

٣- كما أن هذه المجتمعات اعتمدت على أسلوب التخطيط واستشراف

المستقبل، سواء ما يتعلق بمواردها الاقتصادية أو إعداد الملاكات الماهرة لقيادة مؤسسات المجتمع.

٤- لقد غدت العوامل المشجعة على الإنجاز من قبيل: وضوح الدستور، ووجود عدالة في التوزيع، ووجود قيادات متحضرة تدير مؤسسات المجتمع وتشرف عليها، أشد تأثيراً من العوامل غير المشجعة، كقلة الموارد الطبيعية، والكثافة السكانية، وغياب التجانس في المجتمع.

ملخص

يتضح من الحديث الذي دار في هذا الفصل أن المجتمع المنجز؛ هو ذلك المجتمع الذي يتميز فيه الأفراد بالكفاح من أجل النجاح، والتفوق، والمنافسة، والمثابرة، والدأب المستمر.

كما اتضح لنا أن المجتمع المنجز يستند في تأطيره النظري إلى نظرية دافع الإنجاز، تلك النظرية التي فسرت النهوض والتطور والتحديث الحادث في مجتمع ما على أساس العامل النفسي.

وقد كانت العلاقة بين دافع الإنجاز والتنمية التي استعرضنا مؤشراتنا بمثابة البرهان أو الشاهد على صحة ما ذهب إليه النظرية، ثم جاءت بعد ذلك تجارب المجتمعات المنجزة لتأكيد مصداقية النظرية.

ومما يعيننا في هذا السياق أن المجتمع العربي عُد من المجتمعات التي تتصف بانخفاض إنجازها، وقد أسهبت الدراسات العربية بالشرح والتحليل للأسباب التي أدت إلى هذا الانخفاض، ولكن ما ينقص هذه الدراسات وهي تتصدى بالدراسة لظاهرة نفسية مثل الإنجاز، أنها لم تعط العامل النفسي حقه، كما أنها ركزت على أسباب هي في الواقع تعد نتائجاً وليس أسبابها، كأن يكون التركيز على العامل الاقتصادي أو العامل التقني، أو عوامل أخرى.

نقول: إن غياب العامل النفسي في دراسة ظاهرة الإنجاز، إلى جانب التركيز على العامل الأحادي، أفضى إلى شيء من الالتباس في دراسة هذه الظاهرة، وما نريد أن نتوصل إليه هو أن نطرح وجهة نظر تفضي إلى تهيئة المجتمع العربي لمرحلة جديدة، تلك المرحلة التي تتميز بالإنجاز، وهذا يقتضي بين ما يقتضي التركيز على الخصائص الشخصية المرتبطة بالإنجاز، والسبب الذي يجعلنا نولي هذه الخصائص أهمية هو أن أشاعتها بين أفراد المجتمع سيؤدي إلى الحث على الإنجاز والمثابرة.

وبالمحصلة النهائية أنها ستؤدي إلى تحسين مستوى الأداء وزيادة في الإنتاج كماً ونوعاً، والفصل الثاني سيعني بهذه الخصائص من حيث العدد والنوع، تلك الخصائص التي تعد إحدى مرتكزات المجتمع المنجز.

الهوامش

- (1) R.M.Steers and L.W.Porter, Motivation and work behavior. (New York: McGraw-Hill book company,1975) , p.9 .
- (2) Ibid, p.6.
- (٣) سيد عبد الحميد مرسي: الشخصية المنتجة، ط ١ .
(القاهرة: دار التوفيق النموذجية، ١٩٨٥) ص ٨٧، ٨٨.
- (٤) سعد الدين إبراهيم: الأسرة والمجتمع والإبداع في الوطن العربي، بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية بالتعاون مع مؤسسة عبد الحميد شومان حول تهيئة الإنسان العربي للعطاء العلمي، ط ١
(بيروت: المركز، ١٩٨٥) ص ١٦٩ .
- (5) K.Davis, Human behavior at work, 6 thed.) (New DeIhi: TaATA McGraw-Hill publishng vompany LTD, 1981), P.28.
- (6) D.G mYers, psychology, Ist ed. (New youk: Worth publishers, inc. 1986),p361.
- (٧) دوان شلتز: نظريات الشخصية، ترجمة حمد دلي الكربولي وعبد الرحمن القيسي.
(بغداد: مطبعة جامعة بغداد، ١٩٨٣) ص ٤١٦ .
- (8) D.C. McClelland and etal. The achievement motive. (New Yourk: Appleton-century, 1953), p.111.
- (٩) دافيد ماكلييلاند: مجتمع الإنجاز، الدوافع الإنسانية للتنمية الاقتصادية، ترجمة عبد الهادي الجوهري ومحمد سعيد فرج.
(القاهرة: مكتبة نهضة الشرق، ١٩٨٠) ص ٥٧.
- (١٠) وليم.و. لامبرت وولاس.ا.لامبرت: علم النفس الاجتماعي، ترجمة سلوى الملا.
ط ١ (بيروت: دار الشروق، ١٩٨٦) ص ٢٢٢ .
- (١١) المصدر نفسه، ص ٢٢٢ .
- (١٢) دافيد ماكلييلاند: مجتمع الإنجاز: الدوافع الإنسانية للتنمية الاقتصادية، ص ٩٦ .
- (١٣) المصدر نفسه، ص ٨١، ١١٠ .

- D.C. McClelland. The Achivment-oriented personality, in: R.H.Lauer. perspectives on social change, 2ned ed. (Boston: Allyn and bacon, inc 1977),p.100.
- (14) D.C McClelland . power: The Inner expericnce. (New york: John wiley and sons,1975.)p.315.
- (١٥) شلتز: نظريات الشخصية، ص ١٨٤.
- (1٦) D.C. McClelland, measuring motivation in phantasy: The Achievement motive. In: D.E. Dulany and etal. Contributions to modern psychology, 2nd ed. (New york: oxford unversity press, 1963). P.246.
- (17) I bid, p.247.
- (18) J.N.Morgan. The Achievement economic behaveior, in:j.w. atkinson and N.T.Feater. Theory of Achievement motivation, (New york: John wiley and sons, 1966). P.219.
- (19) J.W. Mcdavid and. H.Harari. psychology. And social behavior. (New yourk: Harper and Row, publishers, 1974). P.40-41.
- (٢٠) برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، تقرير التنمية البشرية لعام ٢٠٠٠ (نيويورك: البرنامج، ٢٠٠٠) ص ٢٠٢.
- (٢١) المصدر نفسه، ص ١٥٧.
- (٢٢) لندا ل. دافيدوف: مدخل علم النفس، ط ٢، ترجمة سيد الطواب وآخرين (القاهرة: المكتبة الأكاديمية، ١٩٨٣) ص ٤٦٩.
- (٢٣) سعد الدين إبراهيم: تجسير الفجوة بين المفكرين وصانعي القرارات في الوطن العربي، المستقبل العربي، السنة ٧، العدد ٦٤ (حزيران-يونيو، ١٩٨٤) ص ٢١.
- (٢٤) رودني. ف. ألن: التربية وقضايا الطاقة، الأهداف والممارسات العملية، ترجمة محمد عبد العليم مرسي (الرياض. مكتب التربية العربية لدول الخليج، ١٩٨٦) ص ٦٣.
- (٢٥) المصدر نفسه، ص ٨٢.
- (٢٦) المصدر نفسه، ص ٨٣.
- (٢٧) اللجنة الوطنية المكلفة بدراسة وسائل تحقيق التفوق والسبق في التعليم بالولايات

- المتحدة، أمة معرضة للخطر: حول حتمية إصلاح التعليم، رسالة الخليج العربي،
السنة ٤، العدد ١٢ (١٩٨٤) ص ٢٦٦.
- (٢٨) المصدر نفسه، ص ٢٧٢.
- (٢٩) المصدر نفسه، ص ٢٧٤.
- (٣٠) حسن سلامة الفقي: تكافؤ الفرص التعليمية ومجتمع الجدارة مجلة العلوم
الاجتماعية، المجلد ١١، العدد ٤ (١٩٨٣) ص ٢٠٦.
- (٣١) تقرير التنمية البشرية لعام ٢٠٠٠، ص ١٥٧.
- (٣٢) المصدر نفسه، ص ١٥٧.
- (٣٣) ألفين توفلر: تحول السلطة: المعرفة والثروة والعنف على أعتاب القرن الحادي
والعشرين، ج ١، ترجمة لبنى الريدي (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب،
١٩٩٥) ص ٢٩.
- (٣٤) المصدر نفسه، ص ٣٤.
- (٣٥) ألفين توفلر: تحول السلطة: المعرفة والثروة والعنف في بداية القرن الحادي
والعشرين، ترجمة حافظ الجمالي وأسعد صقر، ج ٢ (دمشق: منشورات اتحاد الكتاب
العرب، ١٩٩١) ص ٧٩٣.
- (٣٦) المصدر نفسه، ص ٧٩٣.
- (٣٧) المصدر نفسه، ص ٧٩٩.
- (٣٨) المصدر نفسه، ص ٧٩٤.
- (٣٩) أنطوان زحلان: العرب والتحدي التقاني، كيف يستطيع العرب أن يستفيدوا من
التقانة المتاحة؟ المستقبل العربي، السنة ١٧، العدد ١٨٩ (تشرين الثاني، نوفمبر،
١٩٩٤) ص ١٤٢.
- (٤٠) المصدر نفسه، ص ١٤٢.
- (41) P.B.Horton and C.L.Hunt. sociology, 6th ed. (Auckland: McGraw-Hill book
company, 1984) , p.63.
- M.Rokeach. change and stability in American value systems:1968-1971.
public opinion Quarterly, vol.38. no.2. 1974. p.225.
- E.B.Hurlock. personality development (New york: McGraw-Hill book

company, 1974), p.82.

- (٤٢) تقرير التنمية البشرية لعام ٢٠٠٠، ص ١٥٧.
- (٤٣) إدوارد.ر بوشاهب. التربية في اليابان المعاصرة (الرياض: مكتب التربية العربية لدول الخليج، ١٩٨٥) ص ٢٥.
- (٤٤) سعد الدين إبراهيم وفايز مراد مينا: تجارب تطوير التعليم في البلدان المتقدمة: اليابان في: سعد الدين إبراهيم (محرر) مستقبل النظام العالمي وتجارب تطوير التعليم، ط١ (عمان منتدى الفكر العربي، ١٩٨٩) ص ١٨٥.
- (٤٥) المصدر نفسه، ص ١٨٥.
- (٤٦) المصدر نفسه، ص ١٨٤.
- (٤٧) عبد الله حسن الموسوي: المعلم الياباني: فلسفة اختياره، إعداد، تدريبه، مجلة المجمع العلمي العراقي، ج٤، المجلد ٤٥، ١٩٩٨، ص ٦١.
- (٤٨) أدوين رايشاور: اليابانيون، ترجمة ليلى الجبالي (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سلسلة عالم المعرفة، ١٩٨٩، ص ٦١.
- (٤٩) المصدر نفسه، ص ٢٤٥.
- (٥٠) المصدر نفسه، ص ٢٤٦.
- (٥١) حلیم بركات، المجتمع العربي في القرن العشرين: بحث في تغير الأحوال والعلاقات، ط١ (بيروت مركز دراسات الوحدة العربية ٢٠٠٠) ص ٢٥.
- (٥٢) انظر تقديم نصر حامد أبو زيد لكتاب البوشيدو: روح اليابان (بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٩٠) ص ٣٢.
- (٥٣) المصدر نفسه، ص ٣٢.
- (٥٤) ياسوما زا كورودا: التحديث والاعتراب في اليابان، المستقبل العربي، السنة ٧، العدد ٦٩ (تشرين الثاني- نوفمبر، ١٩٨٤) ص ١٣٠، ١٢٩.
- (55) R.Ecole and k.Tominage. Japans chanign occupatioinal structure and its significance. In H. patrick and L. Messner. Japanese Industrialization and Its social consequences. (Gerkeley: university of california press, 1976), p.54.
- رايشاور، اليابانيون، ص ١٨٧.

- (٥٦) كورودا، التحديث والاغتراب في اليابان، ص ١٣٢.
- (٥٧) المصدر نفسه، ص ١٣٢.
- (٥٨) المصدر نفسه، ص ١٣٢.
- (٥٩) أنطوان زحلان: العرب والتحديث التقني: أنماط للعلاقات التقنية، المستقبل العربي، السنة ١٧، العدد ١٨٥ (تموز- يوليو، ١٩٩٤) ص ٢٨.
- (٦٠) المصدر نفسه، ص ٢٨.
- (٦١) جاسم محمد عبد الغني: العرب وتجربة التحديث في اليابان، المستقبل العربي، السنة ١١، العدد ١١٩ (كانون الثاني- فبراير، ١٩٨٩) ص ٢٩.
- (٦٢) انظر تقديم نصر حامد أبو زيد لكتاب البوشيدو، ص ٣٧.
- (٦٣) عبد الغني: العرب وتجربة التحديث في اليابان، ص ٢٩.
- (٦٤) إبراهيم: تفسير الفجوة بين المفكرين وصانعي القرارات في الوطن العربي، ص ١١.
- (٦٥) رفاعي محمد رفاعي: فلسفة الإدارة اليابانية في إدارة الموارد الإنسانية: ما الذي يمكن أن تتعلمه الإدارة العربية منها؟
مجلة العلوم الاجتماعية، المجلد ١٢، العدد ٤ (١٩٨٤) ص ٨٦.
- H. Hazama. Historical changes in the life style of Industrial workers. In: patrich and meissner, 1976. I bid. P.21.
- (٦٦) رفاعي: فلسفة الإدارة اليابانية في إدارة الموارد الإنسانية: ما الذي يمكن أن تتعلمه الإدارة العربية منها؟ ص ٨٦.
- (٦٧) المصدر نفسه، ص ٩١، ٩٢.
- (٦٨) المصدر نفسه، ص ٩٣.
- (٦٩) المصدر نفسه، ص ٩٤.
- (٧٠) أينازو نيتوي: البوشيدو: روح اليابان، ترجمة نصر حامد أبو زيد، ط ١ (بغداد: دار الشئون الثقافية العامة، ١٩٩٠) ص ٦٨.
- (٧١) المصدر نفسه، ص ٦٨.
- (٧٢) المصدر نفسه، ص ٧٣.
- (٧٣) المصدر نفسه، ص ٧٣.
- (٧٤) المصدر نفسه، ص ٧٣.

- (٧٥) المصدر نفسه، ص ٧٤.
- (٧٦) المصدر نفسه، ص ٧٤.
- (٧٧) المصدر نفسه، ص ٧٥.
- (٧٨) المصدر نفسه، ص ٩٥.
- (٧٩) المصدر نفسه، ص ٩٦.
- (٨٠) رايشاور: اليابانيون، ص ٢٢٠.
- (٨١) فرج جبران: ألمانيا، الجمهورية الاتحادية.
القاهرة: المكتبة السياحية، (١٩٥٩) ص ٨٤.
- (٨٢) المصدر نفسه، ص ١٤٠.
- (٨٣) المصدر نفسه، ص ١٤٠.
- (٨٤) انظر تقديم محمد عبد العليم مرسي لكتاب التربية في ألمانيا الغربية: نزوع نحو التفوق والامتياز.
- (الرياض: مكتب التربية العربي لدول الخليج، ١٩٨٧) ص ١٢، ١٣.
- (٨٥) مكتب التربية العربي لدول الخليج، التعليم العالي في جمهورية ألمانيا الاتحادية.
(الرياض: المكتب، ١٩٨٧) ص ١٢.
- (٨٦) المصدر نفسه، ص ١٢.
- (٨٧) هانز، ج، لينجز وباربارا لينجز، التربية في ألمانيا الغربية: نزوع نحو التفوق والامتياز، ترجمة محمد عبد العليم مرسي.
(الرياض: مكتب التربية العربي لدول الخليج، ١٩٨٧) ص ٤٥.
- (٨٨) المصدر نفسه، ص ٤٥.
- (٨٩) الصافي سعيد: سنوات المتاهة.
(تونس: نقوش عربية، ١٩٩٤) ص ٣٤٤.
- (٩٠) المصدر نفسه، ص ٣٤٤.
- (٩١) المصدر نفسه، ص ٣٠٧.
- (٩٢) تقرير التنمية البشرية لعام ٢٠٠٠، ص ١٥٧.
- (٩٣) المصدر نفسه، ص ١٥٧.
- (٩٤) انظر تقديم محمد عبد العليم مرسي لكتاب التربية في ألمانيا الغربية: نزوع نحو

- التفوق والامتياز، ص ٢٤.
- (٩٥) المصدر نفسه، ص ٢٤.
- (٩٦) المصدر نفسه، ص ٢٤.
- (٩٧) المصدر نفسه، ص ٢٤، ٢٥.
- (٩٨) لينجز ولينجز: التربية في ألمانيا الغربية: نزوع نحو التفوق والامتياز، ص ٥٥.
- (٩٩) مكتب التربية العربي لدول الخليج، التعليم العالي في جمهورية ألمانيا الاتحادية، ص ٤٢.
- (١٠٠) المصدر نفسه، ص ٤٣.
- (١٠١) لينجز ولينجز: التربية في ألمانيا الغربية: نزوع نحو التفوق والامتياز، ص ٥٠.
- (١٠٢) المصدر نفسه، ص ٨٤.
- (١٠٣) تقرير التنمية البشرية لعام ٢٠٠٠، ص ١٥٧.
- (١٠٤) المصدر نفسه، ص ١٥٧.
- (١٠٥) سعد حسين فتح الله: التنمية المستقلة، المتطلبات والاستراتيجيات والنتائج: دراسة مقارنة في أقطار مختلفة، ط ١
بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، (١٩٩٥) ص ١٨١.
- (١٠٦) المصدر نفسه، ص ٢٣٧.
- (١٠٧) سليمان مظهر: التجربة الكورية: وهم أم معجزة؟
العربي، السنة ٣١، العدد ٣٥١ (فبراير، ١٩٨٨) ص ٤٢.
- (١٠٨) المصدر نفسه، ص ٤٢.
- (١٠٩) إسماعيل صبري عبد الله: التنمية البشرية في البلدان الآسيوية المصنعة حديثاً، حالة كوريا الجنوبية، بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمتها الأمانة العامة لجامعة الدول العربية واللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا (الاسكوا) وبرنامج الأمم المتحدة الإنمائي حول التنمية البشرية في الوطن العربي.
بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، (١٩٩٥) ص ١٨٦.
- (١١٠) سليمان مظهر، التجربة الكورية وهم أم معجزة؟ ص ٤٢.
- (١١١) أنطوان زحلان ومحيي الدين توق: تجارب تطوير التعليم في البلدان النامية: كوريا الجنوبية، في: سعد الدين إبراهيم (محرر): مستقبل النظام العالمي وتجارب تطوير

التعليم، ص ٢٥٥.

(١١٢) المصدر نفسه، ص ٢٥٥.

(١١٣) المصدر نفسه، ص ٢٥٥.

(١١٤) المصدر نفسه، ص ٢٤٥.

(١١٥) نادر فرجاني: التعليم العالي والتنمية في البلدان العربية.

المستقبل العربي، السنة ٢١، العدد ٢٣٧ (تشرين الثاني - نوفمبر، ١٩٩٨) ص ٩٤.